الرسالة الجديدة

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو»

أكتوبر/تشرين أول ٢٠٠٣ العدد (٣)

الماء للجميع الماء للحياة

المعطيات الوراثية والحريات

النفائس الجديدة فى التراث العالمى

من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة

ملخـــص

مؤشرات أساسية ٥

القضاء على «سارس» عبر الإنترنت
سرقة «موناليزا» فيينا
ميثاق للمهاجرين
إفريقيا: تحذير من صراعات المستقبل
اكتشاف فى أمريكا

حديث مع ٨
عبد الوهاب المؤدب:
«لنعمل على تنقية تراثنا»

أنشطة اليونسكو

العلوم الاجتماعية ١٢

البيانات الجينية (الوراثية)، آمال وأخطار

تلعب البيانات الوراثية البشرية دورا تتزايد أهميته، فى حيواتنا، وقد يكون أيضا مبعثا لشر محتمل وللتمييز.

فى مجال العلوم ١٧

زمن الرمال

إن الضرر الذى تحدثه العواصف والأعاصير الاستوائية، غالبا ما يتفاقم بشدة بسبب التنمية السياحية غير الواعية

فى مجال الثقافة ٢٠

النفائس الجديدة

مجموعة مختارة من المواقع الأربعة والعشرين الجديدة تضاف إلى قائمة التراث العالمى هذا العام.

فى مجال التعليم ٢٦

الجامعات تحت المراقبة

إن الحرية الأكاديمية للطلبة وهيئة التدريس مكّممة ومقيدة فى دول كثيرة جدا.

فى مجال الاتصال ٢٩

من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة

إن مقاييس التقنيات وإجراءاتها وحدها لن تكون كافية لسد الفجوة الرقمية

نشاط اليونسكو فى سطور ٣٤

أول إذاعة للمرأة فى أفغانستان
بنما تعمل على حماية ميراثها من المياه الجوفية
صحفية إسرائيلية تفوز بالجائزة العالمية لحرية الصحافة لعام ٢٠٠٣
خمسة ملايين من الكتب الدراسية للعراق
أهى نهضة للتدريس الدينى؟
إجراء البحوث على الباحثين
واشنج: مدينة تحت المجهر

بؤرة الضوء ٣٨

٢٠٠٣ ـ العام الدولى للمياه العذبة

الماء، فيض من الوعود وغيض من التقدم

خصخصة المنافذ المائية ٤١
نموذج الأرجنتين يتداعى ٤٦
تفادى الصراع على النيل ٤٨
لننقذ ذلك المستنقع ٥٢
بلد يعانى الجفاف ٥٤
صحراء أوروبا ٥٧
قنبلة زمنية تثير التلوث ٥٩
إدارة الموارد القليلة ٦٠
خفايا الماء ٦١

من أرشيف اليونسكو ٦٢
الماء فى تاريخ اليونسكو

شركاء ٦٤
التنمية المستدامة للشركات أيضا
دعم مكافحة التجارة بالفنون العراقية
نموذج للسلام
المرأة الأفغانية فى عيون المرأة الأفغانية
مانعرفه حول تجارة الرقيق عبر الأطلنطى
صوت الكنوز الحية
إعادة بناء التعليم العالى فى العراق
الحماة الجدد للتراث

من قريب ٦٨
شبكة ASP: شباب فى الخمسين

من المتاحف ٧٦
مور: نحت فى الهواء الطلق

صدر حديثا ٧٨
آخر إصدارات مطبوعات اليونسكو

اتصالات ٨٢

Cover photo: © Ed kashi/Rapho, Paris

الرسالة الجديدة تصدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «يونسكو»
7 place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, France
Tel: 33 1 45 68 46 85
Fax: 33 1 45 68 56 52
Email: unesco. courier@unesco.org
Internet: http://www.unesco.org

رئيس ومدير التحرير: ميشيل بارتون
مساعدتا رئيس التحرير: صوفى البخارى، سو وليامز
هيئة التحرير: رونى أميلان، چينز بويل، بيتر كولز، بيير جايار، سيرافين جارسيا إيبانز، لوسيا إيجلسياس ـ كونتز، كريستينا لوم، أسبيل لوبيز، بسام منصور، آمى أوتشيه، مونيك بيرو لانود ، مارى رينولت، ليليان سامبدرو، فلاديمير سيرچييڤ ، ياسمينه سوبوڤا
مساعد التحرير: جيزيل ترايانو
البحوث والتوثيق: خوسيه باناج
الصور: أريان بيلى، نيام بيرك
الطبعات من خارج مقر المنظمة: ميشيكو تاناكا
الإشراف الفنى: جان فرانسيس تشيريز، إيوا ماريوزوسكا
الإنتاج: چيرارد بروسبير، إريك فروج
حفر الصور: آنيك كوفيه
التوزيع: ميشيل رافاسار

المقالات والصور غير الخاضعة لحقوق المؤلف يمكن إعادة طبعها مع ذكر عبارة «معاد طبعها من الرسالة الجديدة» مع الإشارة إلى التاريخ والعدد. والصور غير المشمولة بحقوق المؤلف يمكن توفيرها للمطبوعات التى تطلبها. أما المخطوطات والمقالات التى ترسل إلى هيئة التحرير دون طلب منها، والتى لا تنشر، فإنها لا تعاد إلى أصحابها إلا إذا كانت مصحوبة بقسيمة للرد الدولى، وتكاليف البريد.

والمقالات الموقعة تعبر عن آراء كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن آراء اليونسكو أو المجلة. وكلام الصور والعناوين تكتبها هيئة تحرير المجلة. والحدود الموضحة على الخرائط لا تعنى تأييدها أو إقرارها بصورة رسمية من جانب اليونسكو أو الأمم المتحدة بشأن الدول أو الأراضى المعنية.

تصدر الطبعة العربية بإشراف مركز مطبوعات اليونسكو
١ ش طلعت حرب ـ القاهرة ت: ٣٩٢٠١٧٥ ـ ٣٩٢٢٥٠٢

رئيس مجلس الإدارة
فوزى عبد الظاهر

مدير عام التحرير
د. مرسى سعد الدين

«إن أزمة المياه، من بين الأزمات الاجتماعية والطبيعية التى يواجهها بنو البشر، هى التى تشغل صميم وجودنا وبقائنا، كما تشغل كوكب الأرض الذى نعيش عليه»، هكذا قال «كويشيرو ماتسورا» المدير العام لليونسكو بمناسبة صدور «تقرير تنمية المياه فى العالم»(*) فى أوائل هذا العام، وهو وثيقة شاملة لحالة هذا المورد، قام بتجميعه على نحو مشترك الوكالات التابعة للأمم المتحدة، وعددها ثلاث وعشرون وكالة، بالإضافة إلى البرامج واللجان التى تتعلق بموضوع المياه.

واستنادا إلى عوامل معينة، مثل النمو السكانى، وخيارات السياسة، سوف يتعرض مايزيد على بليونين من البشر، فيما يقرب من ستين دولة، لندرة فى المياه فى منتصف هذا القرن. وإذا كان هناك ستة آلاف من الأطفال يموتون كل يوم بسبب الأمراض التى تحملها المياه، فإن نوعية المياه سوف تسوء فى السنوات القادمة بسبب المخلفات والنفايات التى يصل وزنها إلى مليونى طن، والتى تلقى حاليا فى الأنهار والبحيرات كل يوم.

وقد حدد «تقرير تنمية المياه فى العالم»، الذى طرح عشية المنتدى العالمى الثالث للمياه (كيوتو ـ اليابان، مارس/آذار ٢٠٠٣) جوانب القصور السياسى الذى يحيط بهذه الأزمة التى تلوح فى الأفق. ويقول التقرير إنه لم يتحقق أى من الأهداف التى وضعت لتحسين إدارة المياه من جانب قائمة طويلة من المؤتمرات الدولية.

وتقوم اليونسكو ـ بالاشتراك مع إدارة الأمم المتحدة للشؤون الاجتماعية والاقتصادية بتوسيع جهود منظمة واسعة النطاق فى هذا «العام الدولى للمياه العذبة» ـ بإطلاق إشارة قوية عن عزمها لمساعدة الدول النامية فى تعزيز قدرتها على مواجهة القضايا الحاسمة فيما يتعلق بالمياه، وذلك بأن أنشأت فى مارس/آذار الماضى فى «دلفت» بهولندا «معهد التعامل مع المياه» الذى يتبع إدارة التقييم الصحى. وسوف يصبح هذا المعهد، الذى تأسس كمؤسسة علمية على المستوى العالمى، محور الشبكة العالمية للمراكز الإقليمية ذات الصلة باليونسكو، واجتماعات اليونسكو، والشبكات، والمشاركات فى التعامل مع المياه، وبناء القدرة، والتى تخدم جميعها الدول الأعضاء فى المنظمة، وعددها مائة وتسعون دولة.

إن علينا أن نقوم بالإعلام، والتعليم، وتدريب المهنيين، وبناء القدرة: فهذه مسألة بقاء.

ميشيل بارتون

* انظر http://www.unesco.org/water/wwap/wwdr/index.shtml

القضاء على سارس عبر الإنترنت

واصل أطفال المدارس وطلاب الجامعات فى الصين وفى هونج كونج دروسهم مباشرة من منازلهم بعد أن أغلقت المدارس فى أوج انتشار «سارس» فى أوائل هذا العام. بل إن مدرسى الجامعة استطاعوا أن يجروا الامتحانات دون حضور الطلبة إلى المدرسة، مما أتاح للطلبة أن ينهوا فصلهم الدراسى بالرغم من الصدع الذى تعرضت له حجرات الدراسة بسبب الوباء. وكان هناك من هم أقل حظا، وهم خمسمائة من الطلاب من الصين، وتايوان، وهونج كونج، وسنغافورة، والذين جرى تسجيلهم فى الدورات الصيفية فى جامعة كاليفورنيا فى «بيركلى». وقد أبلغتهم الجامعة بألا يحضروا، فليس لديها القدرة على أن تتعامل مع «إجراءات العمل المكثف» التى ستكون ضرورية إذا أصبح أى من طلبة الدورات الصيفية مريضا، وفى حاجة إلى أن يوضع فى الحجر الصحى. وهناك جامعات أمريكية أخرى لم تأخذ بهذا الرأى، إذ وضعت جامعة بيركلى خطة للوقاية وسرعة الاستجابة للمواقف لمساعدة الجامعة والمؤسسات الأخرى على أن تواجه وتتعامل مع الأخطار الصحية العامة مثل «سارس».

ميثاق للمهاجرين (النازحين)

فى أول يوليو/تموز عام ٢٠٠٣ بدأ تنفيذ الميثاق الدولى حول حماية حقوق العمال المهاجرين (النازحين) وأفراد أسرهم. وهدف هذا الميثاق أن يكون أداة فى مكافحة انتهاكات الحقوق الإنسانية للنازحين، وهم واحدة من أكثر الجماعات المستضعفة من السكان، وخصوصا إذا لم يكن لديهم أوراق رسمية. وهناك مايقدر بمائة وخمسة وسبعين مليونا من النازحين (المهاجرين)، يعيش ستون بالمائة منهم فى أوروبا وأمريكا الشمالية. ومن بين الدول الاثنتين والعشرين التى صدقت على الميثاق، تمثل معظمها دول النزوح، أما الدول التى تستقبل المهاجرين (النازحين) بدرجة كبيرة فلم تصدق أى منها على الميثاق حتى الآن.

http://www.migrantsrights.org

سرقة «موناليزا» التماثيل فى فيينا

جرت سرقة تمثال «ساليرا» أو «قبو الملح»، وهو أحد أعمال النحت من الذهب والمينا (طلاء) والأبنوس والشمع، والذى صنعه فى عصر النهضة الصائغ الإيطالى «بينفينوتو سيللينى» (١٥٠٠ - ١٥٧١)، من متحف تاريخ الفن فى فيينا، فى شهر مايو/أيار من هذا العام. وهذا التمثال الذى تم تقييمه بسبعة وخمسين مليون دولار أمريكى، يصور شخصيتين من الذهب - إلهة تمثل الأرض، ونيبتون (إله البحر عند الرومان) الملتحى برمحه الثلاثى الشعب وكأسه. ويقدم الملح فى سفينة مصغرة والفلفل فى معبد أيونى (بالنسبة إلى أيونيا فى اليونان القديمة) على جانبى الشخصيتين. ولاجدال فى أن تمثال «ساليرا»، الذى صنع بتكليف من ملك فرنسا فرانسوا الأول، أجمل عمل قام به فنان فلورنسا. وقد قدم التمثال بعد ذلك إلى الأرشيدوق فرديناند (أحد أمراء الأسرة الامبراطورية النمساوية سابقا). وقد طلبت سلطات فيينا من الإنتربول مساعدتها على استعادة التحفة المسروقة.

لعبة القوة

نجح مركز البحوث الأمريكية فى بناء حاسوب فائق القدرة، وذلك بتثبيت سبعين آلة لعب «بلاى ستايشن» معا فى شبكة سريعة جدا. وقد أنفق على هذه الوحدة خمسون ألف دولار. وهى تقدم خمسمائة ألف مليون عملية فى الثانية. وأسرع حاسوب فى العالم ـ وهو NEC's Earth Simulator ـ يمكن أن يجرى نحو أربعين تريليون (مليون المليون) عملية فى الثانية، ولكنه يكلف أكثر من أربعمائة مليون دولار. وهذا الحاسوب فائق القدرة الذى يتأسس على playstation، قام ببنائه المركز الوطنى لتطبيقات الحاسبات الآلية المتفوقة فى جامعة «إلينوى» ILLinois بالولايات المتحدة. وهو يستخدم مايسمى بنظام تشغيل Linux المفتوح المصدر، الذى يقوم بتحسينه وتحديثه باستمرار المجتمع العلمى على مستوى العالم.

قبلة وداع للأمير تشارمنج (الساحر)

الأمير الساحر خرافة، هكذا تقول المدارس الخاصة للبنات فى الولايات المتحدة، التى أعلنت أن تعليم «الشؤون المالية»، أولوية تعليمية. والهدف هو تخويل السلطة والقدرة، وهذا مايقوله أيضا «التحالف الوطنى لمدارس البنات» الذى يضم مائة وثلاثا من المدارس، مؤكدا أن المرأة الأمريكية اليوم تكسب مايقل عن الرجل بنسبة خمسة وعشرين بالمائة، وتقضى ثلث حياتها وحدها، وفى حالة فقر غالبا.

ويضيف التحالف قوله: إن أرض الملعب ستكون مستوية وممهدة عندما تستطيع الفتيات والنساء أن يتحكمن فى مصائرهن المالية. وحتى يتحقق ذلك يواصل الطلبة مقررات تعليمية تقدم لهم المعلومات حول الفائدة المركبة، ودين بطاقة الائتمان، والتخطيط للتقاعد، وإعادة تمويل الرهونات. وهم يتعلمون كيف يضعون خطة للعمليات التجارية أو الكشف عن خفايا الأرصدة والسندات والصناديق المالية المتبادلة.

ويقول «هويتنى رانسوم» المدير التنفيذى للتحالف: «إننا ـ بالأحرى سوف نعطى للفتيات مكانة رفيعة فى وقت مبكر من حيواتهن، ونتأكد من أنهن سوف يعرفن أن جزءا من مسؤولياتهن أن يكن لاعبات ولسن متفرجات»، ثم يضيف: «ولكنه تغيير طبيعى شيئا فشيئا، أو مدرسة مدرسة، بل وبنتا بنتا»

http://www.ncgs.org

إفريقيا: تحذير من صراعات المستقبل

شهدت القارة الإفريقية منذ عام ١٩٧٠ ثلاثين من الصراعات المسلحة، هذا مايذكره تقرير جديد تحت عنوان «السلام فى مرحلة التكوين» الذى يتاح حتى الآن بالفرنسية تحت عنوان "Peace in Construction" نشرته منظمة «الالتقاء الإفريقى للدفاع عن حقوق الإنسان» RADDHO Rencontre Africaine Pour la Défense des Droits de l'Homme , وهى منظمة غير حكومية للحقوق المدنية ومقرها داكار (السنغال)، وأنشئت فى عام ١٩٩٠. ويقول التقرير: إن تسع عشرة دولة جنوبى الصحراء فى إفريقيا تطلق «إشارات تحذير» لأزمة قادمة، أو أنها فى مرحلة هشة لإعادة السلام على هذه القارة التى خربتها الحروب. وتظل دول غرب إفريقيا أكثر المناطق عرضة للخطر، وتشهد على ذلك «بوركينا فاسو»، و«كوت ديفوار»، و«جامبيا»، و«غينيا»، و«غينيا بيساو»، و«ليبيريا»، و«موريتانيا»، و«نيجيريا»، و«سيراليون»، و«توجو». وتحتل دول وسط إفريقيا المرتبة الثانية، مع وجود سبع دول تتعرض للخطر، على حين أن دول شرق إفريقيا، ودول إفريقيا الجنوبية لديها نموذج واحد «سيئ» لكل منها.

وتأمل منظمة RADDHO، بتقريرها «السلام فى مرحلة التكوين» أن تنبه المجتمع الدولى إلى أخطار الصراع، ومن ثم تشجع على الحيلولة دونه. وتقترح هذه المنظمة تنظيم مؤتمر دولى حول القضية، وتوصى بتبنى «إعلان عالمى للسلام».

هل هى رؤية طليعية أم عملية تخريبية؟

يجب ألا نتدخل فى أعمال الفن. ولكن من يقول ذلك؟ ثمة واقعتان حدثتا أخيرا وضعتا هذه البديهية غير المكتوبة موضع تساؤل. فقد عرض المتحف المصرى فى برلين فى الفترة الأخيرة التمثال النصفى الشهير متعدد الزخارف والألوان لنفرتيتى (١٣٧٢ ق.م) مضافا إليه جسد «عار» مصنوع من البرونز، مما أثار غضبا وحنقا على نطاق واسع. وقد طلبت السلطات المصرية بإعادة هذا العمل الفنى.

وفي متحف أكسفورد للفن الحديث بالمملكة المتحدة قام الإخوة «بريتبوب» و«جيك ودينوس شابمان» بتكرار سلسلة كاملة من كليشيهات «فرانسيسكو جويا». فقد استبدلوا بالوجوه فى الطبعات الثلاث والثمانين من سلسلة (مجموعة) «ويلات الحرب» رؤوسا للمهرجين والحيوانات. وقد طبعت النسخة التى استخدمها الفنانون فى عام ١٩٣٧، من اللوحات الأصلية، فى حومة الحرب الأهلية الإسبانية.

والسؤال الذى تثيره هاتان الواقعتان هو: هل من غير المشروع والقانونى أن يشوه مالك العمل الفنى هذا العمل، حتى لو كان لفترة محدودة؟. الحق أنه ليس هناك رد قاطع حاسم. فالبعض يعتبر أن مثل هذه الأعمال رؤية فنية طليعية، بينما يعتبرها الآخرون عملية تخريب مباشرة وصريحة.

اكتشاف فى أمريكا

فى يونية/حزيران عام ٢٠٠٣، اكتشف فريق من علماء الآثار من «معهد بحوث التنمية» فى فرنسا والمعهد الوطنى للتراث الثقافى فى أكوادور، آثارا لحضارة تضرب فى القدم لأربعة آلاف وخمسمائة عام فى غرب الأمازون. وتبرز من بين هذه الآثار خمس أوانٍ - سلطانيات وأطباق صغيرة وهاون. وتذكرنا رسوم رؤوس السنوريات (هررة - أسود - نمور)، والثعابين، وطيور القنص، الموجودة على الأوانى بالثقافات والحضارات العظيمة فى الأنديز (حضارة Cupinisque & Chavin). ويقول الخبراء: إن هذه المكتشفات ذات أهمية كبيرة إذ صنعت فى منطقة من الغابات الاستوائية ذات الرطوبة العالية التى لاتساعد على عمليات الصيانة، وقليلا (نادرا) ماكتشفها علماء الآثار.
http://www.lrd.fr

كروموزوم الذكورة يتم إنقاذه

قد يكون العلماء قد أنقذوا سمعة الـ Y ، أو الكروموزوم البشرى الذى يحدد الذكورة، الذى لم تفهم وظائفه جيدا حتى الآن. وقد حدد الباحثون من «معهد هوايتهيد للبحوث الطبية الأحيائية» فى كامبردج (الولايات المتحدة)، ومدرسة واشنطن للطب فى سانت لويس (الولايات المتحدة) مايقرب من ثمانية وسبعين من الجينات فى الكروموزوم بدلا من الأربعين جين التى كان يعتقد أن الكروموزوم يحتوى عليها. وليست هذه الجينات بلا فائدة، فبجانب تحديدها لنوع الجنسين، قد تلعب دورا فى خصوبة الذكر، وتحمى الرجال من هشاشة العظام، وهو مرض يصيب النساء كثيرا. وكان المعتقد أيضا، على عكس الكروموزومات الأخرى التى توجد فى شكل «زوجى» أن كروموزوم Y المفرد لاسبيل أمامه لتصحيح التغيير (التغيار) الأحيائى، والمحافظة على جيناته. ومع ذلك يبدو أن كرموزوم Y يتمتع بآليته الخاصة بحمايته، باستخدام نسخ عاكسة للتسلسل الجينى الواحد كنوع من المساندة.

الدرس الكبير

كيف تجعل صانعى القرار يدافعون عن مبدأ التكافؤ بين الأولاد والبنات فى المدرسة؟. ففى التاسع من أبريل/نيسان عام ٢٠٠٣ (فى أثناء أسبوع الاحتفالات الخاصة «بالتعليم للجميع» من السادس من أبريل/نيسان حتى الثالث عشر منه)، وبمبادرة من اللجنة المنظمة للحملة الكوكبية من أجل التعليم للجميع، أعيدت كتابة موسوعة جينس عن الأرقام القياسية فى العالم عندما ضرب الرقم القياسى لأكبر درس فى العالم. وقد اتبع الدرس نفسه على نحو متزامن حول موضوع تعليم البنات ١٫٨ مليون من الناس فى أكثر من مائة وخمسين دولة، وكانت الدول التى حظيت بأكبر عدد من المشتركين بنجلاديش والهند والبرازيل. وكان الرقم القياسى السابق من حظ «طبقة» تتألف من ثمانية وعشرين ألفا من الناس فى المملكة المتحدة

عبد الوهاب المؤدب

لنعمل على تنقية تراثنا

فى هذا الحديث يبحث الكاتب والشاعر التونسى عبد الوهاب المؤدب أصل السلفية (الأصولية) الإسلامية. وهو يعتقد أن النقد الذاتى، فى هذه الأجواء الحالية، هو أضمن طريق لخروج العالم الإسلامى من الأزمة الأخلاقية والسياسية التى ينغمس فيها.

هل تعتقد أن الهجمات الإرهابية ظاهرة دينية أم أحد أعراض الإحباط السياسى لدى المسلمين؟

✶ إن الحركة السلفية (الأصولية) تتغذى بطريقتين. فهى حركة تتسم بالعصيان والثورة، وظاهرة تستند إلى عناصر من التاريخ والتراث الإسلامى. ومع ذلك لايمكن للفرد أن يقول إن الهجمات التى تحدث ظاهرة دينية. فالانتحار باسم السياسة أو الدين من أجل القتل الأعمى، أو القتل بلا تمييز، لم يوجد أبدا فى الإسلام ـ وبعض الناس يقولون عكس ذلك، إذ يشيرون إلى الهجمات التى كان يرتكبها أفراد الطائفة الإسماعيلية فى العصور الوسطى. ولكن هذه ظاهرة خاصة جدا نشأت عن سبب معين. فهذه الهجمات كانت هجمات من جانب حركة الشيعة، وعمرها ألف عام، ضد السلطات السنية. وقام الإسماعيليون بتنفيذ الاغتيالات السياسية بطريقة محددة الهدف جدا، بدون أن تؤذى المدنيين. وكانوا يتعقبون أعداءهم من رجال الدين، أو ممثلى السلطة. إن مايحدث اليوم فى الحقيقة له علاقة كبيرة بالحركة العدمية فى الغرب.

كانت الهجمات بالقنابل على الدار البيضاء فى مايو/أيار عام ٢٠٠٣، بالنسبة لبعض المسلمين، سببا في إلصاق التهم بالإسلام.

ـ ماذا تعنى بذلك؟

✶ لقد بدأت هذه الحركة مع «الفوضويين» فى القرن التاسع عشر، وقد وصفها «دستويفسكى» فى المعتوه. وقد اجتذبت أتباعها من بين صفوف المحبطين. كما أن الكاتب الإيطالى «سولمى» قد أوضح أن الثورى النموذجى يخرج من دوائر أنصاف المثقفين، الذين غالبا مايكونون من مدرسى المدارس، وبمعنى آخر من المثقفين الطموحين الذين يفتقدون مايؤهلهم لأن يعترف بهم كمثقفين. وبالطريقة ذاتها، فإن الإرهابيين من المسلمين يجندون أنصاف المتعلمين من الناس. وبسبب الظروف السكانية، وانتشار التعليم المتوسط، أصبح هؤلاء أنصاف المتعلمين يشكلون كتلة هائلة من الناس تنخر فى المجتمع لشعورها بالاستياء. فهناك كثير من الناس لايستطيعون تحمل هذا الوضع من الضعف الذى أصبحوا فيه منذ بونابرت. ومنذ نهاية القرن الثامن عشر، لم يجد الإسلام من الوسائل مايواجه بها هيمنة الغرب. ومن ثم يشعر كثير من الناس حاليا بالضعف والخور فى وجه القوة الأمريكية الهائلة، حتى ليبدو لهم أن مايقومون به من عنف يقتضى التضحية بأنفسهم، هو الرد الوحيد.

ـ تقول فى كتابك «أوهام الإسلام السياسى»: إن هذا الدين، أكثر من أى دين آخر، أرض خصبة للسلفية (الأصولية) لماذا؟

✶ الحق أن شكل التطرف الذى يقول بالتكفير، قد نشأ من الطائفة الأولى فى الإسلام، وهى الخوارج، بداية من القرن السابع. والحق أيضا أن ثمة جدلا بدأ يشتعل مع الجيل الثانى من المسلمين، والذى كان غالبا ماينتهى بالصدام المسلح بين المتمسكين بالمعنى الحرفى، وبين المتمسكين بالتفسير المجازى، وبمعنى آخر، بين هؤلاء الذين يقولون إن للقرآن معنى واحدا فقط، وهؤلاء الذين يعتقدون أن رسالة القرآن متكافئة الأضداد، ومن ثم فهى قابلة للتأويل. ومع ذلك فإن هذا الجدل ليس مقصورا على الإسلام، فهو ينتشر فى كل الديانات. فكل النظم يتولد فيها مرض أو علة. وإذا كان المسيحيون يعملون على نحو أفضل هذه الأيام من الآخرين، فذلك لأنهم قضوا قرونا يهاجمون ويدينون علّة المسيحية. فكل ما استجد فى التراث الغربى بعد العصور الوسطى، تأسس على نقد الدين فى مواجهة نفسه. فالمفكرون من «ايرازموس» حتى «شوبنهاور»، بما فيهم «فولتير»، و«نيتشه»، و«كيركجارد»، قد أدانوا جميعا علل المسيحية. وقد هاجموا كلا من قوتها الدافعة، وصورها الخادعة.

وتكمن المشكلة فى أن هذا النوع من النقد لم يكد يبدأ فى الإسلام. بل إن المستنيرين المسلمين لايستطيعون أن يتحملوا إضفاء كلمة «الداء» المجازية على معتقداتهم، وهذا هو السبب فى أن عنوان كتابى قد تغير عندما ترجم إلى العربية من «علة الإسلام» إلى «أوهام الإسلام السياسى». ومع ذلك فإن هذه الكلمة المجازية، قد بدأت تظهر حتى بين رجال الدين، وذلك منذ الهجمات الإرهابية التى حدثت فى الرياض، وفى الدار البيضاء. ولست أقول بالطبع إن الأديان الأخرى ليست أيضا بحاجة إلى تفحّص ضميرها وأعماقها. ولكن ليست مهمتى أن أكتب عن علل اليهودية، والنقائية البروتستانتية، فأنا أفضل أن أعمل على تنقية ما لدى من تراث.

ـ هل يمكن أن تحدد لنا تطور الأيديولوجية الأصولية (السلفية) فى الإسلام؟

✶ إن هذه الأصولية (السلفية) تنشأ من امتزاج ثلاثة أشياء، فهناك مثلا الآية موضع الجدل الخاصة بالسيف، والتى تأمر بتتبع المشركين وقتلهم. وهنا يقول السلفيون إن هذه الآية تنسخ كل ظلال يرد فى القرآن حول التسامح. والعنصر الثانى يشير إلى التفكير الحرفى الذى تطور على امتداد القرون، والذى يجد تجسيدا بارزا له فى «ابن حنبل» (٧٨٠ ـ ٨٥٥)، وهو مؤسس أحد المذاهب الأربعة فى الإسلام الحنيف. وقد حارب هذا الإمام، المعتزلة، وهم يمثلون التيار العقلانى الذى كانت تؤيده سلطات بغداد فى القرن التاسع الميلادى. وقد سجن واُضطهد بسبب آرائه المتشددة. وبعد وفاته عمل تلامذته على التطرف بأفكاره. ومثال ذلك أن السلفيين اليوم، الذين يزعمون أن جذورهم تمتد إلى ابن حنبل، يثيرون فى كثير من الأحيان موضوع التكفير، بالرغم من أن ابن حنبل نفسه كان يعترض على هذه الفكرة. والشخصية الثانية المهمة والبارزة فى هذا الاتجاه التقليدى هو المفكر الحنبلى «ابن تيمية» (١٢٦٣ ـ ١٣٢٨). ومن بين مجموعة أعماله الكبيرة كتاب صغير بعنوان «السياسة الشرعية»، الذى يعتبر إنجيل السلفيين (الأصوليين). وقد تعرض ابن تيمية فى عهده للنقد حتى من داخل أنصار المذهب الحنبلى الذى ينتمى إليه، وقد قضى جزءا من حياته فى السجن. ولكنه اليوم قوة مرجعية للسلفيين. أما العمود الثالث فى الأيديولوجية السلفية فهو شخص يدعى «ابن عبد الوهاب» الذى دعا إلى العودة الجذرية للتأويل الأكثر حرفية. ثم إنه، وقد تبنى نظرية «ابن تيمية»، رفض أى شكل من أجل التوسط أو التشفع بين الله والإنسان. وهو الذى تلقى عليه تبعية اختفاء كل قبور الأولياء على أرض شبه الجزيرة العربية، والقضاء على طقوس وشعائر

الصوفية «الشعبية»، التى كانت تتسم بالثراء جدا من وجهة النظر الأنثروبولوجية. وقد تعرضت آراء «عبد الوهاب» (١٧٠٣ ـ ١٧٩٢) للنقد والإدانة فى حياته، ولكنها بعد ذلك أصبحت العقيدة الرسمية (أو المذهب الرسمى) للعربية السعودية.

ومامى الأسباب الخارجية؟.

✶ إنها تعود إلى حملة بونابرت على مصر، والمواجهة الخطيرة مع الغرب، إذ اكتشف الناس فى الشرق الأوسط أن أوروبا أقوى، وأنه من الآن فصاعدا، سوف يحتلون موقعا يتصف بالضعف، إن لم يكن العجز. وكان رد الفعل الأول، فى عام ١٨٣٠ تقريبا، تلك الخطة التى وضعها محمد على لتحديث مصر. وكان المفكر رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ ـ ١٨٧٤) يمثل هذه المدرسة فى الفكر. وقد اضطلع بالمهمة الشاقة الضخمة وهى ترجمة الكتيبات العلمية. أما فى مجال الفكر الدينى السياسى، فكان الشيخ الأفغانى (١٨٣٨ ـ ١٨٩٧)، والشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) هما اللذان أوجدا مايطلق عليه السلفية، وهى شكل من أشكال الأصولية، يجب ألا تختلط بالأصولية الإسلامية.

ما هو الفرق؟.

✶ إن الأفغانى ومحمد عبده قد اندحرا تاريخيا، ولكن منهجهما كان أوسع نطاقا. فما الذى كانا يبحثان عنه، ويسعيان إليه؟. لقد أرادا العودة إلى أسس الإسلام وقواعده، ومواءمتها أو التكيف معها حتى يمكن للمجتمعات الإسلامية أن تعيد بناء نفسها، مع الأخذ فى الحسبان إسهامات الغرب، وعلى الأخص الديمقراطية والحكومة البرلمانية. وكانت خطتهما استخدام هذه المفاهيم لمكافحة الاستعمار وقبضته القوية، وكذلك الاستبداد المحلى. والحق أنهما اعتادا أن يلتقيا فى مقهى فى القاهرة يطلق عليه البرلمان.

كيف تحولنا من هذه الأصولية الحديثة إلى الأصولية الإسلامية؟.

✶ كانت عملية تدريجية، فقد كان رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) حلقة وصل، أو حلقة وسط فى سلسلة هذا الشكل من الأصولية. وقد بدأ بتبنى أفكار محمد عبده، وانتقاد الوهابية، وصنع بذلك اسما لنفسه فى أوائل القرن العشرين، وفى النهاية يلقى شعبية ونجاحا فى شبه الجزيرة العربية فى عام ١٩٣٢. ولكن ما إن تقترب نهايته، حتى يغير رشيد رضا أفكاره، ويضع مؤلفا يؤيد فيه الوهابية، التى لم تكن نفعية أو انتهازية كما قد تبدو. وقد أشار إلى تطور الإنسان فى فترة الغزو الاستعمارى، الأمر الذى أطلق المشاعر المعادية للغرب.

ـ وهكذا ولدت الأصولية فى عشرينيات القرن العشرين..

✶ نعم ـ مع تلميذ رشيد رضا، واسمه حسن البنا (١٩٠٦ ـ ١٩٤٩)، الذى يظل مشهورا بإنشائه جمعية الإخوان المسلمين فى مصر فى عام ١٩٢٨.

وبعد ذلك جاءت موجة شديدة قاسية من المشاعر المعادية للغرب، مع النظر إلى الديمقراطية على أنها خداع، وأيديولوجية للسيطرة. ويتساءل حسن البنا قائلا: إذا كان هناك ديمقراطية فكيف يكون هناك استعمار؟. ويخلص إلى أن الدول الإسلامية لاتحتاج إلى الغرب، ولكنها، بدلا من ذلك، تحتاج إلى أن تجدد نظمها السياسية بطريقتها الخاصة. ويمكن أن نقول إنه كان هناك تحرك من شعار تحديث الإسلام إلى شعار آخر ينصح بإضفاء الطابع الإسلامى على الحداثة. ومثال ذلك أن علينا، بدلا من الدفاع عن النظام البرلمانى، أن نتجه إلى القرآن، ونستبدل كلمة الشورى بكلمة البرلمان. ولكن الشورى لاعلاقة لها بالنظام البرلمانى. فهى لاتتأسس على الانتخاب أو المساواة، ولكنها ببساطة مسألة تتعلق بالتشاور، وتوجيه «الأمير» فى صنع القرارات.

ـ كيف تم تقبل هذه الأفكار؟.

✶ فى أول الأمر اجتاز الإخوان المسلمون مرحلة من القمع والاستبداد الوطنى، ومن ظهور الدولة الشمولية فيما بعد الاستعمار. والاستبداد يحدث، تاريخيا، حيث يكون هناك تدخل ضئيل من الدولة، ولكن فى عصر التقدم التقنى، تحركت كل الدول العربية نحو تدخل الدولة إلى أقصى درجة. وانتصر نموذج الدولة ذات الأحزاب. واكتسب الأصوليون أرضا، وحققوا نجاحا، لأن هذا النموذج قد وصل نهايته. وقد أفادوا من فشل القومية العربية، ومن الهزيمة التى تعرضنا لها على يد إسرائيل فى عام ١٩٦٧، ومن فشل التنمية، وإنكار أى شكل من أشكال التعبير السياسى، ثم إن ارتفاع سلطة ونفوذ الحكام السعوديين بعد أزمة البترول فى عام ١٩٧٣، أضاف عنصرا جديدا.

نظرة خاطفة على الكاتب

ولد فى تونس عام ١٩٤٦، ثم سافر إلى باريس كطالب، حيث درس الأدب وتاريخ الفنون. وهو ـ كشاعر، وروائى، وكاتب مقال، ومترجم ـ يتمتع بتفهم عميق لكل من الثقافة الغربية والعربية، وهو محرر المجلة الأدبية الدولية التى تصدر بالفرنسية (Dédal). وهو يعمل حاليا أستاذا للأدب المقارن فى جامعة باريس ×ناتير. وقد نشر اثنى عشر كتابا بالفرنسية، من بينها Talismano, Bourgois, Paris، ١٩٧٦ (أعيد طبعه عام ١٩٨٧)، وفانتازيا Phantasia، ١٩٨٩، وAya dans les Villes عام ١٩٩٩، وMatiere des oiseaux عام ٢٠٠١. وآخر أعماله La Maladie de L'islam عام ٢٠٠٢، وقد نشر بالإنجليزية تحت عنوان Malady of Islam عام ٢٠٠٣. وقد استحوذ هذا الكتاب على اهتمام عالمى كبير. وقد تمت ترجمته حتى الآن إلى العربية، والبوسنية، والألمانية، والإيطالية، والبرتغالية، والإسبانية، والتركية.

أعضاء الحزب الدينى «جمعية علماء الإسلام» - القريب الصلة بطالبان فى أفغانستان فى اجتماع عقد فى «بيشاور» فى «باكستان»

فدولارات البترول ساعدت على الانتشار المظهرى لشكل متشدد من أشكال الإسلام يقوم على شكل متفرد من الممارسة الصحيحة: بمعنى أن الأداء المتزمت للصلاة أصبح أساسا للنقد الاجتماعى، لاغية بذلك الممارسات المحلية لصالح نموذج موحد من الإسلام.

ولكن كيف انحرفنا نحو الإرهاب؟.

✶ إن نهاية الناصرية، ووصول السادات إلى السلطة فى مصر، شهدت هجرة أنصاف المتعلمين المصريين إلى العربية السعودية، حيث تزاوجت أفكار الإخوان المسلمين مع أفكار المذهب «الوهابى». وعندئذ كان هناك مواجهة ثانية سريعة الانفعال فى أفغانستان. فالمصريون والسعوديون والباكستانيون تحالفوا معها فى الجهاد، الذى نظمته وأشرفت عليه الولايات المتحدة لمواجهة الغزو السوفييتى. وأنت تعرف ما الذى حدث بعد ذلك.

كيف ترى المستقبل؟.

✶ اليوم يعيش العالم الإسلامى فى حالة من الحرب الأهلية. ولكن النقد الداخلى يتنامى. لقد سبق الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ قرنان من الجهود الثقافية؟. ومع مواجهته بالعنف، فإن الفكر النقدى ينتشر، وخصوصا فى الدول الشيعية. ففى إيران ينتقد رجال الدين مفهوم «ولاية الفقيه» الذى أدخله الخمينى. وفى العراق يبدو أن فكرة الخلافة الروحية، التى تفترض مسبقا فصل الدين عن السياسة، تكسب أرضا أو تحقق نجاحا فيما بين الأغلبية الشيعية. أما بالنسبة للعربية السعودية، فإذا لم تكن تريد أن تتغير من الداخل، فإن عليها أن تحل التناقض بين خطابها الدينى - الذى يؤدى إلى المشاعر المعادية للغرب - وتحالفها الجغرافى السياسى مع الولايات المتحدة.

- وإلى أى جانب يحتمل أن يميل الرأى العام؟.

✶ لقد نشأت منذ سبعينيات القرن العشرين أصولية واسعة النطاق فى المجتمعات العربية الإسلامية. ولكن قد تكون هذه بداية للانحسار. لقد صدمت الهجمات الإرهابية فى العديد من الدول الإسلامية، الرأى العام، والتحدى الآن يكمن فى أن ننأى بجوهر الإسلام عن الاتجاهات الإسلامية المتشددة. ويجب أن نتأكد من أن الإسلام يلعب دورا فى مواجهة الأصولية.

أجرى الحديث صوفى البخارى وبسام منصور

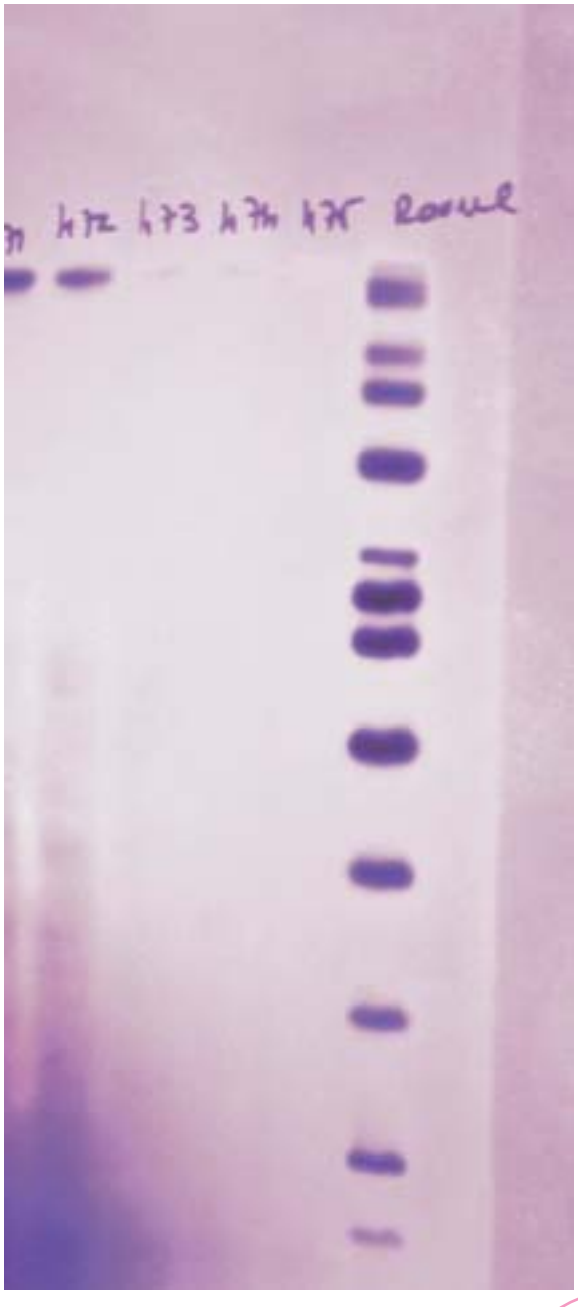

إن البيانات الجينية البشرية، التى يتم تجميعها من خلال العينات الأحيائية (البيولوجية) (دم - أنسجة - لعاب - السائل المنوى.. وهكذا) تلعب دورا يتزايد اهتمامه فى حيواتنا. وهى تقدم الآن بالفعل إجابات على أسئلة طالما وجهها القضاة ورجال الشرطة، مثل إثبات البنوة، والتعرف على هوية المجرمين جنسيا، وضحايا الحوادث. ثم إنها - وبدرجات متفاوتة - ترد على التساؤلات الطبية. فالاختبارات الوراثية (الجينية) يمكن أن تكتشف أمراضا مثل مرض «هنتنجتون»، وهناك اختبارات أخرى - تشير فقط إلى قابلية الجسم للمرض - وتقدم معلومات ذات قيمة كبيرة للوقاية. لذلك، فإن البحوث القائمة على البيانات الجينية (الوراثية) البشرية، تبشر بالمزيد من الاختبارات التى يُعول عليها كثيرا، وكذلك باتجاهات جديدة لتفهم الكثير من الأمراض ومعالجتها.

والبيانات الوراثية (الجينية) تقول لنا الكثير حاليا، وتبشر بأن تقول لنا الأكثر والأكثر. ولكن ثمة مخاوف كثيرة تثار من أن هذه البيانات قد يتاح لها أن تستخدم بما يتعارض مع العدالة والحريات المدنية، وأنها سوف تفتح الباب للتمييز، والتفرقة. ولكى نحسن تفهم عقدة هذه المشكلات، يكون من المفيد أن نتفحص المواقف الملموسة.

وهاك بعض الأمثلة - تقرر إحدى النساء فى أمريكا الشمالية - لأن أحد والديها مات بمرض «هنتنجتون» - أن تجرى اختبارا جينيا

١ لتعرف هل ستتعرض هى أيضا لهذا الاضطراب العصبى (التفسخ أو التليف العصبى) . وكان الاحتمال بنسبة خمسين بالمائة، وقد نصحها أحد مستشارى الشؤون الوراثية بأن تؤمّن على حياتها وصحتها قبل أن تمتثل للاختبار. وقال إنه إذا كانت نتائج الاختبار إيجابية، فلن تتعرض للمرض فحسب، بل إنها لن تعود جديرة بالتأمين، لأن أية شركة لن تقبلها إذا أفصحت عن وضعها الحقيقى، ثم إنها إذا أخفت الاختبار الإيجابى، فإنها تكون بذلك تضلل وتخادع، ويمكن للشركة حينئذ أن تلغى سندات التأمين الخاصة بها. وبعد ذلك بفترة قصيرة وجدت أن نتائج الاختبار إيجابية. وعندما عرفت أنها سوف تلتقط المرض، أبلغت بذلك عددا معينا من الناس. وسرعان ما

البيانات الجينية (الوراثية): آمال وأخطار

فُصلت من العمل، بالرغم من أنها حصلت على تقدير وترقية عن عملها فى الشهور الثمانية السابقة. ويقرر أقاربها، وخصوصا شقيقاتها، بعد أن علموا بذلك، ألا يقدموا على الاختبار ذاته.

اختبارات تنبئية

ثمة مايقرب من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف مرض (من بينها مرض هنتنجتون ـ التليف الحوصلى ـ المرارة أو المثانة ـ الأورام الليفية العصبية ـ سوء التغذية أو فسادها.. وهكذا) تتصل على نحو مباشر بالتغييرات الجينية الوراثية. ويمكن لهذه التغييرات الجينية الوراثية أن تزيد من خطورة التقاط الفرد للأمراض الشائعة (السرطان ـ مرض أوعية القلب ـ مرض السكر.. وهكذا).

وكثير من الاختبارات الجينية الموجودة يمكن أن تحدد هذه التغييرات أو التحولات: فصناديق الإسعاف التى تتكلف عادة مابين مائة دولار ومائتى دولار أمريكى، تتعامل مع أربعمائة مرض، ومئات من الصناديق الأخرى سوف تطرح تدريجيا فى الأسواق. وبعض الاختبارات، مثل اختبار مرض هنتنجتون، تتسم بخصوصية أنها مطلقة: فإذا كان الاختبار إيجابيا، فمن المؤكد أن الشخص سوف يلتقط المرض. ولكن الأغلبية الغالبة من الاختبارات، مثل تلك التى تتعلق ببعض أنواع السرطان، تشير فحسب إلى أنه قد يكون لديك قابلية لمرض معين، الأمر الذى لايعنى بالقطع أنك سوف تلتقطه.

التمييز من أجل التأمين

إن الآلية الاقتصادية للتأمين تقوم على حقيقة أن التأمين لايكون على الأفراد، بل على الجماعات. فهناك ـ بالنسبة لكل حادثة أو مرض ـ مجازفة إحصائية معينة (التى قد يكون من الضرورى تعديلها حسب سن الشخص أو بيئته) ويعتمد

النظام برمته على ثقة الأطراف المتعاقدة. فإذا أقدم عدد كبير على طلب التأمين على الحياة، لأنهم وجدوا أنهم يتعرضون لخطر الإصابة بالسرطان بدرجة أعلى من المعدل، فإن ذلك ينحرف بالآلية. فشركات التأمين تخشى هؤلاء العملاء المخادعين، ولكنها ليست تحت رحمتهم. فهى يمكن أن تحاول أن تثبت أن الشخص المؤمن عليه قد خدعها، بتجاهل إبلاغها عن حالته أو حالتها.

ويمكن أيضا أن يميل الميزان إلى الاتجاه الآخر، مما يشكل خطرا مختلفا. فشركات التأمين يمكن أن تتعرض لإغراء الزيادة فى التجارب الجينية لصالحها. فبدون المضى معهم إلى درجة أن تفرض الاختبارات على عملائها، فإنها يمكن أن تستحثهم على أن يقدموا على الاختبارات، وذلك بعرض رسوم أقل. وحينئذ نستطيع أن نخلص إلى تأمين من سرعتين أو ثلاث سرعات : وهم العملاء الذين فى خطر (وهم هؤلاء الذين لديهم ميول طبيعية أو قابلية معروفة لالتقاط المرض الخطير، أو الذين يرفضون إجراء اختبارات) الذين يمكن أن يدفعوا أعلى الأقساط، والعملاء الذين يتمتعون بحظ وافر يكفى لسحب الرقم الفائز فى اليانصيب الجينى، والذين سوف يحصلون على أفضل الرسوم (الأسعار).

التمييز من جانب المستخدم

وهذا يبدو واضحا فى المثال الذى سقناه. ولكنه كان يمكن أن يتخذ شكلا أكثر خداعا، مع انتظار المستخدم لفترة أطول للتخلص من صاحب العمل (المشكلة)، حتى لايمكن لأى فرد أن يشك فى السبب الحقيقى لفصل المستخدم.

والتمييز (التفرقة) يمكن أن يتخذ شكلا أكثر فعالية. ففى المثال الذى أوردناه نجد أن (صاحب العمل) يتفاعل مع اختبار اختاره العامل (أو الموظف) بحرية تامة. ولكن صاحب العمل يمكن أن يبدأ بالفحص الجينى، فقد اكتشف العاملون فى «معمل ارنستو أورلاندو لورنس بيركلى الوطنى» بالصدفة ـ مثلا ـ أنهم تعرضوا للفحص الجينى: فقد تعرت النساء للاختبار من أجل التعرف على الحمل، والأمريكيون الأفارقة، والذين من أمريكا اللاتينية من أجل التعرف على مرض الزهرى، والأمريكيون الأفارقة من أجل التعرف على السمة الجينية لمرض الخلايا (الكريات) المنجلية. كما اكتشف العاملون فى السكك الحديدية لدى شركة سكك حديد Burlington Northern Santa fe Railroad، أن الشركة قد استخدمت عينات للدم من ثمانية عشر منهم على الأقل، لفحصها سرا، بحثا عن مدى القابلية لمرض «تناذر» (متلازمة) النفق الرسغى،

المحققون فى مجال الجريمة يستخدمون على نحو رتيب البيانات الجينية المستقاة من آثار الدم.. إلخ. ولكن ماذا يحدث لهذه البيانات بعد ذلك؟.

وهو الاضطراب العضلى الهيكلى (أى يتصل بالجهاز العضلى والهيكل العظمى معا) الذى يضعف القدرة اليدوية، الأمر الذى يكلف أصحاب العمل كثيرا. فماذا كانت تخططه الشركة للتعامل مع نتائج هذا الاختبار غير المشروع؟. وعلاوة على ذلك، فإن التمييز ليس من السهل دائما إثباته. فأين يمكن أن يكون الحد الفاصل؟. إن عدم تعيين العامل ذى القابلية لتناذر النفق الرسغى فى وظيفة يعمل فيها على آلة الثقب (الثقابة)، يمكن أن يفسر على أنه إجراء وقائى، اتخذ من أجل صالح العامل.

رفض الاختبارات

والواضح أن مثل هذا التمييز أو المحاباة، لاتشجع المرشحين ذوى القدرات من أن يجرى اختبارهم، مما يحرمهم من المزايا التى تستتبع الفحص المبكر. وبسبب مثل هذا التحفظ أو التكتم يجازف العلماء بحرمانهم من المعلومات ذات القيمة.

٢

فى ثمانينيات القرن العشرين دخل أحد المقيمين فى «سياتل (واشنطن)، يعانى من ابيضاض الدم (سرطان الدم) مستشفى جامعيا مشهورا فى كاليفورنيا. وأجريت له عملية استئصال الطحال. وبدون الحصول على موافقة المريض، قام أحد الباحثين بفحص «النسيج» الذى استخلصه، واكتشف مادة مثيرة للاهتمام. وجرى استصدار «براءة» اختراع تعود بالفائدة على خمسة أطراف ـ الطبيب، والمستشفى، والباحث، والمعهد الجينى، وشركة الأدوية ـ وليس الرجل الذى احتوت خلاياه هذه المادة. وأقام دعوى فى إحدى محاكم كاليفورنيا. وأيدت المحكمة دعواه فى إحدى النقاط ـ وهى عدم وجود الموافقة (من جانبه) ـ ولكنها أنكرت عليه حق الملكية، لأن مثل هذا الحق يسد الطريق أمام العلماء ليحصلوا على الخلايا التى يحتاجونها. فماذا ستكون محصلة مثل هذه المحاكمة اليوم، مع التطور المستمر للقوانين والتشريعات؟. إن كل شىء سوف يعتمد على المكان الذى تجرى فيه المحاكمة، لأن ثمة ولايات مثل «جورجيا» و«أوريجون» أكثر حمائية «للمالك» الأحيائى (البيولوجى).

الموافقة

وقد وافق المريض على استئصال طحاله كجزء من علاج ابيضاض الدم ـ ولكن لاتستخدم فى البحوث. وبعد ذلك بفترة طويلة ـ فى عام ١٩٨٣ ـ بدأ المريض يتعجب ويتساءل عن السبب فى أنه كان عليه أن يذهب إلى كاليفورنيا ليعطى عينات فى حين أن هذا الأمر يمكن أن يتم فى مدينته، وعن السبب فى مطالبته بالتوقيع على وثيقة يتنازل فيها عن حقوقه فى أى «منتج» قد يتم استخلاصه من دمه. ورفض أن يوقع. وأقام دعوى عندما اكتشف أن الطبيب وأطرافا أخرى قد تقدموا بطلب «للبراءة» فى عام ١٩٨١.

والشروط العادية للموافقة تتمثل فى أنها لابد أن تكون مسبقة، وأن تتم بحرية تامة، وأن تكون موثقة. وبمعنى آخر، يجب على الشخص أن يعرف مقدما أن العينة التى أخذت منه سوف تستخدم للحصول على بيانات جينية بشرية، كما يجب ألا يخضع (أو تخضع) للضغط الفيزيائى أو السيكولوجى، هذا بالإضافة إلى أنه (أو أنها) يجب أن يعرف الهدف الذى يتم من أجله الحصول على هذه البيانات (فتوضع شروط بالمزايا والأضرار المحتملة، وكذلك الضمانات)، يضاف إلى ذلك أن الموافقة يجب أن تكون ـ فى بعض الأحيان ـ واضحة جلية، بمعنى أن يتم تحديد الهدف من أخذ العينة بوضوح.

تغيير الهدف

وبقدر مايتعلق الأمر بالمريض، فإن العينات تؤخذ بغرض العلاج: وبمعنى آخر كجزء من رعايته. وفى بداية العلاج، كان لدى الطبيب الهدف ذاته. ولكنه أضاف هدفا آخر عندما تأكد أن دم مريضه يحتوى على مادة مثيرة للاهتمام.. وقد أدى هذا إلى الحصول على عينات مفيدة للبحث العلمى، ولكن ربما لاتكون كذلك بالنسبة للمريض، كما يفسر هذا السبب فى أن العينات يجب أن تؤخذ فى مستشفى الطبيب فى كاليفورنيا، لضمان أن يعكف على العينات على نحو خاص. والتغييرات فى الهدف تكون فى بعض الأحيان أكثر تحديدا. ولنتصور بلدا قرر أن ينشئ بنكا للبيانات الجينية يشمل كل مواطنيه، بهدف استخدام البحث لتحسين العناية الصحية ـ وأن البيانات التى جرى تجميعها أتاحت للشرطة القبض على المجرمين. إن تغيير الهدف ـ من الناحية الأخلاقية ـ ليس مقبولا. ومع ذلك قد يكون شيئا مغريا للساسة الذين يبحثون عن الشعبية.

الملكية

فمن الذى يملك ماذا؟. إن «مارى كورى» لم تحصل على براءة اختراع الراديوم، لقد اكتشفته، ولكنها لم تخترعه. ويمكن أن نقول الشىء نفسه عن الجينات، فالعلماء يكتشفونها، أو يكتشفون ـ واحدة من وظائفها، ولكنهم لم يخترعوها. ولم يحل هذا دون أن تقدم آلاف الطلبات للحصول على البراءة. وهنا نوجه هذا السؤال الذى هو أكثر صلة بالموضوع: لمن تنتمى العينة التى تحتوى على البيانات الجينية؟. الرأى الصائب يقول إنها ملكية الشخص الذى قدمها، ولكن ألا تكون تنتمى إليه بعد أن تكون قد استخلصت من جسمه؟. وبدون ادعاء حق الملكية المطلقة، ألا يكون للشخص على الأقل، رأى فى كيفية استخدام خلاياه، أو أى منتج يستخلص منها؟.

ومنذ سنوات قليلة اهتم العلماء قليلا بهذه القضايا، فطالما أن المريض قد وافق على إعطاء

من أجل بيان عالمى

سوف يكون **للبيانات الجينية البشرية** قريبا جدا بيان عالمى يحدد المبادئ الأخلاقية التى يجب أن تحكم تجميعها، ومعالجتها، وتخزينها، واستخدامها. ومسودة هذا الإعلان الذى يهدف إلى تقديم الحلول الأولية للقضايا المعقدة جدا، سوف تطرح فى المؤتمر العام لليونسكو الذى يعقد فى سبتمبر/أيلول - أكتوبر/تشرين أول عام ٢٠٠٣.

خلاياه أو أنسجته، فإنهم يعتبرون أنفسهم أحرارا فى استخدامها فى بحوثهم. ولكن المشكلة أكثر تعقيدا اليوم. فمع استخدام الخلايا أو الأنسجة البشرية، أو تحليل البيانات المستمدة منها، تتنافس الشركات التكنولوجية الأحيائية فى السباق لاستحداث كل أنواع الاختبارات أو العلاجات. وهناك ملايين الدولارات باتت اليوم فى الرهان، الأمر الذى يفسر تضاعف عدد البنوك الخاصة بالبيانات الجينية. وهذا سوق يمكن أن يزداد انتعاشا، لذلك نشأت الضرورة بوضع قواعد أكثر دقة فى هذا المجال.

٣

ابعث إلينا بشىء من «لعابك»، وستكون بذلك تساعد العلم، وسوف نقدم لك أسهما فى شركتنا، إن هذه الرسالة التى تثير الاهتمام والفضول، جرى الترويج لها على الإنترنت، فهناك شركة مقرها بروكسل (بلجيكا) تسمى "Spitters"، تخطط لإنشاء بنك للبيانات الجينية يتاح لكل من باحثى الدولة والباحثين الخصوصيين. وسوف يحصل على موارده من صناعة الأدوية التى لابد أن تدفع فى مقابل أن تحصل على البيانات التى يتم تجميعها. وسوف تستخلص مادة "DNA" من ملايين العينات من اللعاب الذى تأمل الشركة فى أن تقوم بتخزينه. كذلك فإنه يجب على المانحين «الذين يريدون أن يحصلوا على أسهم فى الشركة، أن يملؤوا استبيانا طبيا عبر الإنترنت، وتضمن الشركة عدم ذكر الأسماء. ولكن الانطلاقة فشلت، كما حدث لاتحاد الشركات الذى وراءها، وهو** Starlab NV/SA. **وبعد أن تقدمت بإعلان الإفلاس عرضت خمسمائة عينة من اللعاب فى المزاد، مع أثاث المكتب، بالرغم من أن البيع لم يتم.

العينات

وغالبا ماتكون غير ذات أهمية: نقطة من الدم - مسحة على فنجان القهوة - فوطة من الورق تركت على المائدة - عقب سيجارة - إفرازات شمعية تكشط من معينات السمع.. وهكذا. ولكن هذه النفايات الصغيرة، عندما تعالج فى المعمل، تكون كافية لتحديد شفرة الـ DNA. ولاشك أن الشرطة التى تبحث عن أدلة تقدر بشكل واضح هذه المزايا والنتائج، ومع ذلك فالموقف أكثر إزعاجا عندما تجد إعلانات على الإنترنت من أجل الاختبارات الجينية، وخصوصا اختبارات الأبوة، التى تتم فى ظروف مريبة. وعندما تتكفل معامل معينة بالسرية وعدم ذكر الأسماء، فإنها تعنى بذلك الشخص الذى قدم العينة وليس الشخص الذى أخذت منه العينة فى الحقيقة. وهذا الشخص لم يعط موافقته على ذلك، ومن ثم تكون مجهوليته فى خطر (أى يمكن أن يتم التعرف عليه). والمشكلة خطيرة عندما نضع فى الحسبان أنه عندما يحاول أى شخص أن يجد أباه «البيولوجى»، فإن هدفه الحقيقى غالبا مايكون هدفا قانونيا.

الموافقة أو التصديق

تسير الأمور على مايرام بالنسبة لشركتى Spitter and Starlab. فكثير من العلماء المشهورين ينخرطون فى هذا العمل، ويمكن للشركات - بالرغم من أنه شىء غير عادى - أن تثبت إمكانية الاعتماد عليهم. ومع ذلك، فإن الناس الذين قدموا عينات اللعاب اعتقادا منهم بأنهم يسهمون فى البحث العلمى، يرون «عطيتهم» تباع فى المزاد، ربما ليتم استخدامها لغرض مختلف تماما. وهذه الحالة تصور المشكلة التى تتعلق بالصلة بين الموافقة والأهداف النهائية.
فإذا وافق شخص ما على أنه يمكن استخدام البيانات الجينية من العينة الخاصة به (أو بها) فى غرض معين، فإنه لأمر مزعج أن يرى هذه البيانات توضع فى استخدامات أخرى، مالم يطلب منه أو منها مرة ثانية أن يوافق. ونادرا ما تثار المشكلة. ولكن حدث أن قدرا كبيرا من البيانات الجينية، التى جرى تجميعها من أجل استخدام محدد مؤقت، قد أعيد فى الفترة الأخيرة «تدويرها» لأغراض أخرى. فعندما يعطى الزوج عينة من حيواناته المنوية لمساعدة البوليس على التحقيق فى اغتصاب زوجته، فإنه يعتقد أنه ما أن تستخدم العينة فى عملية الإزالة لفصل الحيوانات المنوية للمغتصب، حتى يتم القضاء عليها مع البيانات الجينية المستخلصة منها. ولكنه مخطئ في حالات كثيرة: فالبيانات تذهب إلى ملفات الشرطة حيث تتجمع عينات المشبوهين والناس الأبرياء، وحتى الضحايا، ويتم تخزينها معا، ولو من أجل التبسيط. ولنأخذ مثالا آخر، فعندما يقوم رجل المطافئ - وهو يعلم أنه يمكن أن يموت وهو يؤدى عمله، عينة من الدم ليساعد فى تحديد بقاياه، ويوفر على أسرته الكثير من المعاناة، فإنه لايعرف أن الشركات التى تدير بنوك DNA أحيانا ما تبيع البيانات للمعامل.

بيير جايار

زمن الرمال.....

تعمل العواصف والأعاصير الاستوائية فى الكاريبى على أن تطمس بانتظام المناطق الساحلية. والممارسات الرشيدة يمكن أن تعيد تأهيل هذه السواحل، ولكن التنمية السياحية ليست دائما بهذه الحكمة.

فى كل عام تضرب الأعاصير، مثل إعصار لويس، ويقوة، جزر الكاريبى

الجميع فى الكاريبى يتذكرون «لينى» الخبيث. و«لينى» هذا هو إعصار جاء من الجانب الخطأ، فمعظم الأعاصير فى الكاريبى تبدأ فى المحيط الأطلنطى وتتحرك عبر الجزر من الشرق إلى الغرب. وتقول «جيليان كامبرز» وهى خبيرة تآكل المناطق الساحلية تعيش فى بورتوريكو: «إن إعصار لينى كان مختلفا، إذ بدأ من ساحل كولومبيا فى الكاريبى الغربى، وبدلا من أن يتحرك إلى الشمال أو الغرب ـ كما تنبأ رجال الأرصاد الجوية ـ بدأ فى التحرك تجاه الشرق، وكان يقوى كلما تحرك مثيرا للأمواج الهائلة». وفى خلال يومين اثنين فقط، فى منتصف نوفمبر/تشرين الثانى عام ١٩٩٩، تسبب فى أضرار مادية للجزر تقدر بنحو «٢٦٩» مليونا من الدولارات الأمريكية، دون حساب الخسارة فى الدخول والإيرادات. وقد كانت الخسارة التى تعرضت لها «جرينادا» وحدها، وهى واحدة من المناطق الأسوأ ضررا، أكثر من أربعة وتسعين مليونا من الدولارات الأمريكية، أو سبعة وعشرين بالمائة من إجمالى الناتج المحلى[١].

ويتذكر «كامبرز» ماحدث ويقول: «لم تكن هناك أية إنذارات، كما لم تتوقف حركة الزوارق ـ بل إن من أكثر الأشياء غرابة لكثيرين من ساكنى الجزر أنه لم تكن هناك رياح، فالأمواج هى التى أحدثت التدمير والخراب. ومعظم البنية التحتية للسياحة تتركز على السواحل الغربية لجزر الكاريبى، لأنها فى حماية من الرياح الشرقية السائدة. ولكنها لم تكن لتنجو من إعصار «لينى». فقد اختفت المنازل، وأتلفت الفنادق والطرق، وتعرضت للفيضانات، كما فقدت زوارق الصيد، وتآكلت المناطق الساحلية الغربية فى كل جزيرة من سلسلة الجزر، بدءا من توباجو فى الجنوب إلى الجزر العذراء فى الشمال، وذلك قبل شهر واحد من بدء الموسم السياحى المزدهر. وقد كان الأثر الاقتصادى كبيرا جدا ـ إذ اضطرت الفنادق إلى أن تغلق أبوابها شهورا طويلة، بل لأكثر من عام فى بعض الحالات، حتى يمكن أن تزيل الأضرار، وتعيد مناطقها الساحلية إلى ماكانت عليه.

وقد فاجأ «لينى» سكان الجزر، ولكنهم معتادون على الأعاصير. وهناك فى الكاريبى، موسم للأعاصير يبدأ تقريبا من شهر يونية/حزيران حتى نوفمبر/تشرين الثانى. وقبل أن تصبح السياحة

مصدرا مهما لاكتساب المال: دفعت التجربة سكان الجزر إلى أن يقيموا أبنيتهم إما فى داخل الجزر، أو على بعد معقول من الساحل. ويقول «أرلينجتون جيمس» من قسم الغابات والحياة البرية والحدائق فى «دومينيكا»: «إن إعصار (لينى) لم يؤثر كثيرا فى البنية الأساسية فى داخل الجزر. ولكن الأمواج التى أثارها إعصار «لينى»، أثرت كثيرا فى السواحل. وكانت بعض المناطق الساحلية تكاد تستعيد نشاطها وحركتها من العاصفة الاستوائية «إيريس»، وإعصار «مارلين»، وبعد ذلك إعصار «لويس» الذى ضربنا بقوة على مدى أسبوعين فى عام ١٩٩٥. وقبل ذلك كان قد ضربنا بقوة إعصار «هوجو» فى عام ١٩٨٩. وقد أصبح «بيل هول»، وهو ساحل كبير وشعبى يقع فى الشمال، مجرد مساحة طويلة وضيقة مليئة بالجلاميد (الصخور المدورة)».

الوقاية أرخص من الترميم

ولكن «دومينيكا» - على عكس معظم الجزر الأخرى فى الكاريبى - لاتتمتع بسياحة كبيرة مزدهرة. والسياحة تعنى غالبا فنادق على الجانب الساحلى، وأماكن للترفيه. وعندما يختفى الشاطئ الرملى بعد أى إعصار، فإن الجاذبية السياحية الأساسية لن تزول فحسب، بل غالبا جدا ماتذهب أو تزول معها الفنادق، التى ليست فى المكان الصحيح - والطرق، وإمدادات المياه، والمحلات. وهناك بعض الجزر التى تعتمد، وبشكل متزايد، على السياحة. ففى عام ٢٠٠٠، مثلا، أنفق الزائرون مايقرب من ٢٧٧ مليون دولار فى «سانت لوشيا»، أى مايعادل أربعين بالمائة من إجمالى «إنتاجها القومى»[٢]. ومع ذلك، فإنه يمكن تجنب الكثير من الأضرار. وتقول «جيليان كامبرز»: «إن الناس كثيرا مايشعرون بأنه يجب عليهم أن يقيموا أبنيتهم على الشاطئ مباشرة، ومن الصعب على سلطات التخطيط أن تقنعهم بغير ذلك. ولكن الشواطئ معالم متحركة، دائما ماتتحرك وتغير شكلها وهيئتها، فنحن نرسم خطا على الخريطة، خطا جامدا ودائما، وهذا يمثل الشريط الساحلى. والحق أن الشريط الساحلى، أو المنطقة التى يلتقى فيها البحر والبر، منطقة متحركة، تتباين فى موقعها حسب تيارات المد والجزر والأمواج، وحالات العواصف، والوقت من السنة، والمواد المترسبة، والعوامل الأخرى».

وتضيف «جيليان كامبرز» قائلة: «ومع إتاحة المكان الذى تتحرك فيه الشواطئ، يكون هناك احتمال كبير بأنها ستصان على الأمد الطويل». ولكن الناس إما عن جهل، وإما لسياسة عدم المبالاة - لايزالون يقيمون المبانى قريبا جدا من الماء. وهم - أو البلديات المحلية - ومن خلال جهود مضللة غالبا لحماية الشاطئ، أو البنية التحتية، يقومون ببناء أسوار بحرية وقائية، أو حواجز خشبية (كمصدات ضد الأمواج) للحد من تأثير الأمواج. ولكن كلا الإجراءين غالبا مايكونان غير مثمرين. فالأسوار البحرية تضاعف بشكل ثابت من تآكل الشاطئ، على حين تتكاثر الرمال على جانب من الحواجز الخشبية، وتختفى على الجانب الآخر.

وتضيف «جيليان كامبرز»: وتآكل الشواطئ عملية معقدة جدا. وإذا كل شىء يختلف عن الآخر، فإنه ليس هناك أسلوب واحد للتخفيف من حدة التآكل يمكن أن يفيد فى كل مكان». وقد أظهر مشروع اليونسكو بمراقبة التغييرات على الشواطئ[٣] فى فترة معينة تمتد إلى عشر سنوات، أن ثلثى الشواطئ موضع المراقبة قد تعرض للتآكل، فى حين أن الثلث الباقى قد تدعم أو لم يتغير. وهذا التميز للشواطئ والإجراءات الوقائية أحد الأسباب التى جعلت اليونسكو تعمل مع سلطات عشر من الجزر فى الكاريبى لإنتاج سلسلة من الكتيبات التفصيلية التى تستهدف الارتفاع بمستوى الوعى، وتقديم التوجيه المحدد جدا لاتخاذ الاحتياجات على أساس تدريجى، أى شاطئ شاطئ[٤].

يقول «بنجى فاريل بإدارة البيئة - سانت كيتس - : «إننا نستخدم الكتيبات لطلبتنا، وللمنظمات غير الحكومية، وجماعات البيئة». ويضيف قوله: «إن معظم سكاننا اعتادوا هذه المشكلات، ولكننا لانزال فى حاجة للتأكيد على تغيير السلوكيات فى المنطقة الساحلية» .. وحتى يبرهن على ذلك يضيف: «إنه حدث فى تطور أخير أن عشرين فدانا من الميناء قد استصلحت من البحر، وأصبح يحيط بها الحواجز الخشبية. وهى الآن مركز كبير للتسوق. وهى تؤثر فى أنماط الأمواج فى المنطقة، وهذه بالتالى تؤثر فى الشواطئ المجاورة». ومايثير المفارقة فى هذا هو أن الرمال القريبة من الشاطئ غالبا ما تستخدم فى خرسانة المبانى. ولكنها، فى وقت ما، سوف تعود إلى البحر، وينتهى الأمر بها لأن تكون شواطئ مرة أخرى.

بيتر كولز

1 - USAID, April 17, 2000.
2 - Compendium of Tourism .
Statistics, 2000, World Tourism Organization
3 - Managing beach resources
and planning for coastal change, or COSAIC
4 - http://www.unesco.org/csi/wise2b.htm

شاطئ بينى (نيفيس) قبل إعصار لويس (إلى اليمين) وبعد الإعصار (إلى أعلى)

الأعلى إلى اليسار: بناء الأسوار لاحتجاز الكثبان الرملية . ومافوق: خليج مونداى (أنجويلا) بعد إعصار لينى

تآكل الشواطئ

هناك نحو عشرين بالمائة من سكان العالم (١١٤٧ مليونا) يعيشون فى نطاق ثلاثين كيلو مترا من أقرب خط ساحلى. وفى الدول النامية فى الجزر الصغيرة مثل جزيرة سيشيل، وبعض جزر الكاريبى يمكن أن يصل هذا الرقم إلى تسعين بالمائة. وتتمتع المنطقة الساحلية بأعلى نسبة تنوع فى النبات، وأنواع الحيوانات. وكثير من الجزر الصغيرة تكاد تعتمد كلية على مواردها الساحلية (مثل صيد الأسماك والسياحة.. وهكذا). ولكن كل السواحل على مستوى العالم كله عرضة للخطر من الاعتداءات المختلفة، مثل ارتفاع مستوى البحر نتيجة لزيادة حرارة الكوكب، وتدمير الشعاب المرجانية، وغابات الأشجار الاستوائية (التى تعتبر عاملا طبيعيا فى تبديد الأمواج) وتآكل الشواطئ، والتلوث فى البر، والتنمية لغير المعايش .. وهكذا.

والشواطى متحركة بشكل طبيعى، وتتآكل باستمرار، ثم تتجدد. وهى تمتص صدمة الأمواج والعواصف الهائلة، كما يمكنها - دونما عائق - أن تتراجع إلى الداخل، وتعود إلى حالتها السابقة بعد ذلك بشهور أو سنوات. ولكن الإنشاءات الصلبة، مثل الطرق، والأسوار البحرية، وأساس المبانى - عندما تكون لصيقة بالشاطئ - تحول دون هذه العملية الطبيعية، ولاتؤدى على نحو حتمى إلى التآكل. وفى بعض الدول الإفريقية، مثل نيجيريا، تختفى أجزاء من الخط الساحلى بمعدل يصل إلى مابين عشرين وثلاثين مترا كل عام.

والكثبان الرملية تقدم أيضا الحاجز الوقائى ضد الأمواج. وعندما تزال الكثبان الرملية من أجل التنمية (أو تخربها الأعاصير) يتسارع تآكل الشواطئ على نحو كبير. وتوجد أساليب للعمل على إصلاحها، مثل تثبيت حواجز من الأوتاد «لاصطياد» الرمال (أو صدها). ولكن هذه الأساليب تستغرق وقتا حتى تصبح فعالة ومثمرة، وبالمثل، فإن الشواطئ المتآكلة يمكن أن تتجدد على نحو غير طبيعى (اصطناعى)، وذلك باستخراج الرمال من المناطق القريبة من الشاطئ، وإغراق الشاطئ بها. وغالبا ماتقوم الفنادق الكبيرة الغنية التى تقع على جانبى الشواطئ فى الكاريبى بهذا العمل فى أعقاب أى إعصار. ولكنها عملية باهظة التكاليف، ويمكن أن تسبب مشكلات أخرى.

تآكل الشواطئ ليس مجرد مشكلة للجزر الصغيرة والدول المتنامية. فولاية فلوريدا فى الولايات المتحدة تنفق نحو ٨,٦ مليون دولار كل عام على إدارة «التآكل». وهذا يتضمن مراقبة منتظمة للشواطئ. وبفضل مثل هذه المراقبة (التى يقوم بها فى الغالب متطوعون) فى جزر الكاريبى أمكن التوصل على مدى عدة سنوات إلى صور فردية لكل شاطئ، توضح ماهى الجزر التى تعتبر أكثر عرضة للتآكل. وهذا ضرورى لوضع خطوط إرشادية «للممارسات الحكيمة»، مثل سلسلة الكتيبات التى أخرجتها اليونسكو (انظر القصة الرئيسية).

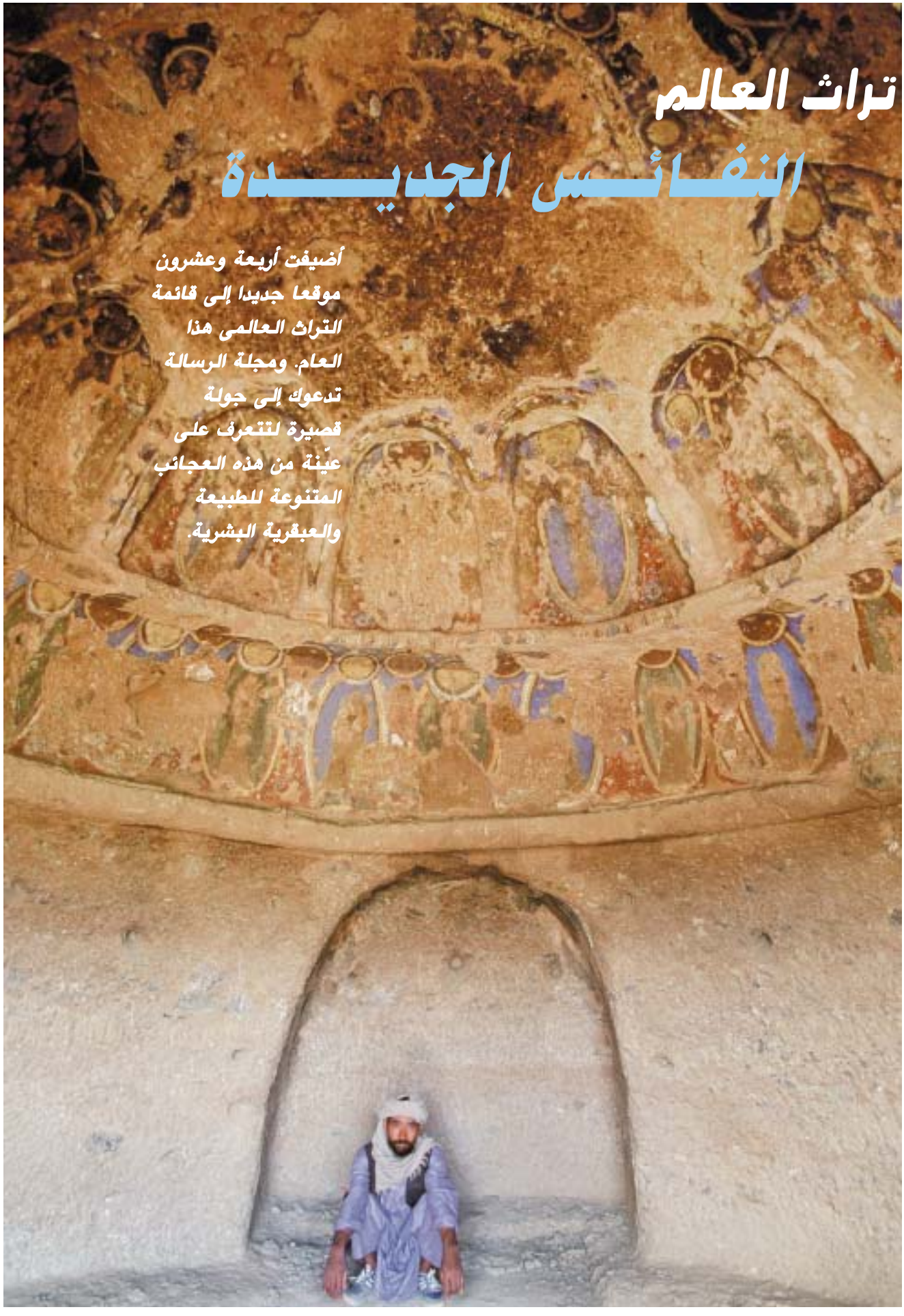

تراث العالم
النفـائـــس الجديـــــدة

أضيفت أربعة وعشرون موقعا جديدا إلى قائمة التراث العالمى هذا العام. ومجلة الرسالة تدعوك إلى جولة قصيرة لتتعرف على عيّنة من هذه العجائب المتنوعة للطبيعة والعبقرية البشرية.

يصل عدد المواقع التى تضمها قائمة التراث العالمى الآن، إلى ٧٥٤ موقعا ذات قيمة عالمية بارزة، من بينها ٥٨٢ موقعا ثقافيا، و١٤٩ طبيعيا، و٢٣ موقعا مختلطا.

وقد أضيفت خمسة مواقع إلى القائمة فى الدورة الأخيرة (٣٠ يونية/حزيران - ٣ يوليو/تموز) للجنة التراث العالمى هى: حديقة «بيرنولولو» الوطنية (استراليا) - ثلاثة أنهار متماثلة بالمناطق المحمية فى «يونان» (الصين) - حوض نور (الاتحاد الفيدرالى الروسى/منغوليا) - مونت (جبل) سان جيورجيو (سويسرا) - حديقة فونج نها - كى بانج الوطنية (فيتنام). كما أن هناك تسعة عشر موقعا ثقافيا جديدا حظيت بمسمى التراث العالمى هذا العام وهى: المناظر الطبيعية الثقافية، والبقايا الأثرية لوادى «باميان» (أفغانستان) - كويبرادا دى هوماهواكا (الأرجنتين) - الحى التاريخى لمدينة «فالبارايسو» (شيلى) - الحى اليهودى، وكنيسة سانت بروكوبيوس فى «تريبيك» (جمهورية التشيك) - جزيرة جيمس والمواقع ذات الصلة (جامبيا) - الكهوف الصخرية فى بمبيتكا (الهند) - تخت سليمان (إيران) - آشور/قلعة فى «شرقاط» (العراق) - المدينة البيضاء لتل أبيب (إسرائيل) - ساكرى مونتى (الجبل المقدس) فى «بيدمونت ولومبارديا» (إيطاليا)، ضريح خوجة أحمد عيساوى (كازخستان) - إرساليات الفرنسيسكان فى «سييرا جوردا» ، «كويريتارو» (المكسيك) - الكنائس الخشبية فى «لتيل بولند الجنوبية» (بولندا) - القلعة، والمدينة القديمة، والمبانى الحصينة فى «ديرينت» (الاتحاد الفيدرالى الروسى) - مناظر مايبونجوبوى الطبيعية الثقافية (جنوب إفريقيا) - المجموعات التذكارية لعصر النهضة فى «أوبيدا» و«بايزا» (إسبانيا) - جبل برقل ومواقع إقليم نباتا (السودان) - الحدائق النباتية الملكية - كيو (المملكة المتحدة) - تلال «توبو» (زيمبابوى).

فى ذكرى «باميان»

لاتزال الصور الرهيبة المفزعة لمعابد بوذا فى «باميان» وهى تنفجر فى مارس/آذار عام ٢٠٠١ ماثلة فى أذهاننا. وبعد مضى عامين أصبحت المناظر الطبيعية الثقافية، والبقايا الأثرية فى وادى «باميان» جزءا من تراث البشرية، يرمز إلى أمل المجتمع الدولى فى ألا يؤدى التعصب مرة أخرى وإلى الأبد إلى مثل هذه الجرائم ضد الثقافة.

وهذا الموقع، الذى يقع على بعد مائتى وخمسين كيلو مترا غربى كابول، يظهر التطورات الفنية والدينية التى كانت تميز «بختريان» القديمة من القرن الأول حتى القرن الثالث عشر. وفى القرون الأولى من عصرنا نشأ التعبير الفنى لفن «قندهارا» من التقاء المؤثرات اليونانية - الرومانية والهندية والبارثية. ولأول مرة صنع فنانو النحت تمثال بوذا على شكل إنسان. وبدءا من القرن الثامن، انتشر الإسلام فى وادى «باميان»، وحل تدريجيا محل البوذية. ووجود الأديرة والمناطق الحرام البوذية جنبا إلى جنب مع الأبنية المحصنة القديمة من العصر الإسلامى، يعكس هذا التراث.

وقد تم تسجيل الموقع - بسبب ضعفه وهشاشته - فى كل من قائمة التراث العالمى ، وقائمة «التراث العالمى المهدد بالخطر» وقد كان - بعد هجره سنوات كثيرة - مسرحا للعمليات العسكرية، بالإضافة إلى أن الألغام المضادة للبشر قد جعلت الكثير من أجزاء الوادى صعبة الوصول إليها. كما أن الكوّات (جمع كوة) التى تضم شذرات من التماثيل التى أهلك معظمها تتعرض لخطر الانهيار. وقد فتحت الانفجارات شقوقا فى المنحدر الصخرى (الجرف)، وقضت على الزخارف الجدارية. ثم إن الصور التى تزين مايقرب من ستمائة كهف تم نحتها فى الأحجار الرملية، فى حالة سيئة أيضا. وأخيرا، فإن المعركة ضد النهب والتنقيب غير المشروع، مازالت قائمة، وبعيدة عن أن يتحقق فيها النصر.

إلى أعلى هضاب من الأحجار الرملية (٣٥٠ مليون سنة) فى سلسلة جبال «بنجل بنجل» فى حديقة بيرنولولو (استراليا)
إلى اليمين: كهف فى باميان (أفغانستان). لوحات جصية (القرن الخامس والقرن السادس) استعيدت فى سبعينيات القرن العشرين.

آشور، مهد الامبراطورية الآشورية

تقوم مدينة آشور القديمة (قلعات فى شرقاط) على شواطئ نهر دجلة فى الجزء العراقى فى شمال بلاد الرافدين. وقد أسسها السومريون فى الألف الثالثة قبل الميلاد، واحتلها الآشوريون تدريجيا، بعد أن تخلوا عن أسلوب حياتهم البدوية، واستقروا هناك. وفى الألف الثانية قبل الميلاد أصبحت أول عاصمة للامبراطورية الآشورية التى بسطت نفوذها على مساحة من الأراضى، غير مسبوقة فى الشرق الأوسط.

وهذه المدينة - الدولة، والتى تقع فى مفترق الطرق التجارية، هى أيضا العاصمة الدينية للامبراطورية، مرتبطة بالإله آشور. وعلى مر القرون اقترنت البلاد الآشورية بهذا الإله الكونى، خالق الفردوس، والعالم السفلى. وقد استطاعت هذه

المدينة، التى دمرها البابليون فى عام ٦١٢ ق.م، أن تنهض وتنفض عن نفسها غبار الدمار، فى العصر «البارثى» فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد.

وقد احتفظت «آشور» بالكثير جدا من آثار ماضيها الرائع، بما فيها الزِكورة ـ وهو معبد كبير هائل على شكل برج، والمعبد الكبير للإله آشور، والمعبد المزدوج «لآشور» و«اداد» وهو إله العواصف، ومعبد عشتار، وهى إلهة سومرية للحب والحرب، والقصر القديم بمقابره الملكية، والعديد من الأحياء السكنية.

وعندما جرى الاقتراح بأن تدرج آشور ـ قبل الحرب ـ فى قائمة التراث العالمى، تهددت بمشروع لبناء سد كبير كان يمكن أن يغرقها إلى حد كبير. وبالرغم من أن المشروع قد توقف، أو تم تعليقه من جانب الإدارة الحالية، فإن هناك دائما خطر أن يتغير الاتجاه.

وهذا الخطر، مع الافتقاد الصارخ للحماية، كانا الدافع وراء الإدراج المتزامن للموقع فى قائمة التراث العالمى الذى يتعرض للخطر. ويقول المراقبون الذين زاروا آشور مؤخرا: إن الحراس العشرين غير النظاميين الذين يتولون الإشراف على الموقع، الذى تصل مساحته إلى مايقرب من خمسة وستين هكتارا، لم تعد لديهم أسلحة، ويخشون هجمات الذين يقومون بأعمال السلب والنهب، والذين ظهر نشاطهم الكبير فى مواقع عراقية كثيرة أخرى.

«كيو»، فردوس ذو هدف

فى نهاية الأسبوع يندفع سكان لندن فى أفواج إلى المروج النقية، والممرات (المماشى ـ جمع ممشى) التى تصطف على جانبيها الأشجار، فى الحدائق النباتية الملكية فى كيو ـ خارج لندن ـ للتنزه، والتجول، والمشى، والاستمتاع بالنباتات النادرة ـ مثل الورديات الصينية، وأشجار النخيل الاستوائية، والمجموعة المختلفة التى لا حد لها من الزهور. وتشمل الرحلة معْلمين آخرين هما: الباجودا الصينية (وهو معبد متعدد الأدوار)، والدفيئة (الصوبة ـ البيت الزجاجى) الفيكتورية المذهلة.

وهنا، ولاشك، يكمن سر شهرة «كيو»: فهذه الحدائق ـ منذ إنشائها فى عام ١٧٥٩ ـ قد جمعت بين السحر والأناقة، والتميز العلمى. ومن ثم كان إدراجها فى قائمة التراث العالمى له مايبرره لسببين: فالحدائق تضم مجموعة من النباتات (نباتات محفوظة، ونباتات حية، ووثائق) ازدادت ثراء بشكل كبير على مر القرون. وقد أسهمت بشكل بارز، وبلاانقطاع، فى دراسة تنوع النباتات، والاقتصاديات النباتية، وكما يذكر «اتحاد الصيانة العالمى»، فإن «كيو» ليست حدائق عادية، لأنها فى الحقيقة أنارت الطريق بأن أوجدت حركة عالميةتؤيد صيانة الثروة النباتية، والمحافظة عليها. وقد كان لما تقوم به من أعمال علمية الأثر الثقافى الهائل، لأن المعارف النباتية، والمهارات التى اكتسبت فى كيو قد انتشرت فى جميع أنحاء العالم، بل إن «كيو» قد أنشأت فى الفترة الأخيرة أكبر بنك للبذور فى

إلى أعلى الدفيئة (الصوبة) الفيكتورية فى الحدائق النباتية الملكية فى «كيو» (المملكة المتحدة). إلى اليسار: مدينة أشور القديمة (العراق) قد أدرجت أيضا فى قائمة التراث العالمى الذى يتعرض للخطر.

العالم. وهذا البنك الألفى للبذور ـ الذى يقع فى West Sussex يهدف إلى جمع وصيانة مايقرب من عشرة بالمائة من نباتات العالم بحلول عام ٢٠١٠ ـ أى أربعة وعشرين ألف نوع.

«فالبارايسو» ميناء أسطورى

نادرا مايقع الزوار فى حب فالبارايسو من النظرة الأولى، فهذه العاصمة التشريعية لشيلى (ثلاثمائة ألف نسمة)، والتى تعتبر أيضا أكبر ميناء فى البلاد، لاتكشف مباشرة عما تحتويه من سحر، عمل على تحويل المدينة إلى أسطورة يتغنى بها الملاحون من قريب ومن بعيد. وبإدراج الحى التاريخى للمدينة الساحلية «فالبارايسو» فى قائمة التراث العالمى، كانت اللجنة تسعى إلى تكريم هذا الميناء الأسطورى.

والمحيط، أو الحدود الخارجية التى أدرجت (فى القائمة)، والتى تقع بين البحر والسلسلة الأولى من التلال، يمثل نموذجا ممتعا للهندسة المعمارية وتخطيط المدن فى أمريكا اللاتينية فى أواخر القرن التاسع عشر. وقد أنشأ الإسبان ميناء «فالبارايسو» فى القرن السادس عشر على سهل ساحلى ضيق، احتله بعد ذلك هنود شانجو. وقد استطاعت هذه المدينة ـ التى تمتد على طول خليج طبيعى على ساحل الباسفيك بما يشبه المدرج ـ أن تتوسع وتصل إلى منحدر التل.

وقد ازدهر الميناء فى القرن التاسع عشر، إذ أصبح محطة حيوية للبحارة الذين يسافرون من أوروبا إلى الساحل الغربى للولايات المتحدة. وقبل إنشاء قناة بنما فى أوائل القرن العشرين كانت السفن تضطر إلى أن تدور حول «كيب هورن»، وتمضى إلى الساحل الباسفيكى. وقد كانت رحلة محفوفة بالمخاطر، وغالبا ماكانت تنتهى بتحطيم السفينة والموت. وسعيد الحظ هو الذى يضع قدمه على «فالبارايسو» أول ميناء فى طريقهم. وقد نسجت أسطورة المدينة بأحلام البحارة: فى البقاء والعيش، وإيجاد وسائل الترفيه فى دروب وحانات المدينة الميناء.

واليوم يحتفظ الحى التاريخى القديم بوحدة شكله الجذاب، الذى تسوده أبراج أجراس الكنائس. وقد احتفظت المدينة أيضا بالعديد من المبانى، منذ بداية العصر الصناعى، وخصوصا «سيارات الكابل» التى تصيح وتصرخ وهى تشق طريقها صعودا إلى المناطق المرتفعة.

ذكرى تجارة الرقيق

تعيد جزيرة جيمس، والمواقع ذات الصلة، إلى الأذهان الالتقاء بين إفريقيا وأوروبا على طول النهر الذى منح اسمه لهذه البلدة الصغيرة التى تحيط بها السنغال. فمنذ القرن الخامس عشر جاهد تجار أوروبا بضراوة لكى ينتزعوا الربح من هذا الممر إلى ثروات غرب إفريقيا. وقد لعب هذا الحصن، الذى شيد فى عام ١٦٥٥ على جزيرة مساحتها ثلاثة آلاف متر مربع فى وسط النهر، دورا كبيرا فى تجارة الرقيق حتى نهاية القرن الثامن عشر. وقد كان واحدا من الأماكن التى يتوقف فيها النساء والرجال الذين تم أسرهم فى داخل البلاد قبل أن يبدأوا رحلة اللاعودة إلى أوروبا والعالم الجديد. وقد كان الموقع الاستراتيجى للحصن سببا للمنازعات المريرة. وقد دمر وأعيد بناؤه عدة مرات قبل أن يتم هجره والتخلى عنه فى عام ١٨٢٩.

وعندما ألغيت تجارة الرقيق استخدمت جزيرة جيمس لإيقاف تجار الرقيق المحظورين. وهى الآن واحدة من الأماكن الرئيسية فى «جامبيا» التى يقصدها فى الأساس السائحون الأوروبيون،

كان الوصول إلى فالبارايسو (شيلى) يعنى للبحارة الأوروبيين الحياة، أى عمر جديد، بعد مرورهم من كيب هورن الغادر.

أطلال الحصن فى جزيرة جيمس (جامبيا)، والذى كان أحد الموانئ الرئيسية المهمة على «طريق الرقيق».

والأمريكيون الإفريقيون.

والمواقع ذات الصلة تشهد على التاريخ الطويل للعلاقات الأوروبية الإفريقية: فهناك حصن «بولين» على الضفة الشمالية للنهر، ومبنى شركة غرب إفريقيا الفرنسية التى أنشئت فى عام ١٨٤٧، وبقايا «سان دومينجو» القرية الاستعمارية القديمة، وبطارية المدافع الستة فى العاصمة «بانجول»، والمعبد البرتغالي فى قرية «جوفيسوره» فى «ماندينجو»، حيث أسكن «إليكس هالى» مؤلف قصة «الجذور» أصول أو جذور سلفه «كونتا كنتى».

العالم المفقود فى «بنجل بنجل»

تضم منطقة «بيرنولولو» الوطنية (٢٣٩٧٢٣ هكتارا) ، والتى تقع فى ولاية «ويسترن استراليا»، سلسلة جبال «بنجل بنجل» الوعرة، التى تشبه خلية النحل، وهى مكان له قدره، يقصده عشاق الطبيعة والأماكن البرية. والواضح أن الاسم ينشأ من الكلمة الأصلية «بندل بندل»، التى تعنى عشبا محليا معروفا. و«بيرنولولو» تعنى «أكوام الرمال» فى اللغة ذاتها. وهذه التلال من الأحجار الرملية التى تشكلت على امتداد ثلاثمائة وخمسين مليون سنة مضت، تجعل منطقة «كيمبرلى» - وهى واحدة من أبعد المناطق في البلاد - متميزة جدا.

وتتدفق الأنهار والجداول من الجبال فى الجنوب والشرق تحمل معها خليطا من الرمال والصخور التى تتجمد تدريجيا لتصبح أحجارا رملية. وقد أوجدت عوامل التعرية فى العشرين مليون سنة الأخيرة أودية عميقة، وأبراجا رائعة، والمواقع المخروطية المنحدرة، والتى تشبه خلية النحل، وسطح يتميز بمجموعات أفقية منتظمة من السيليكا، والأُشْنة (نبات فطرى).

وهذا الموقع ، الذى يسكنه السكان الأصليون لأكثر من عشرين ألف سنة، غنى بالفن الأصلى لأهل المنطقة، ويضم عددا من مواقع الدفن. وهناك أيضا العديد من أنواع النباتات، تم اكتشاف بعضها أخيرا جدا حتى لم تحظ بعد بأسماء علمية. ومن المدهش أن أشجار النخيل المروحية تمسك على نحو غير مستقر بالجدارن، والشقوق فى الصخور. أما بقية الموقع فيغطيها ستار من الرمل الأحمر والأصفر، حيث تنمو مجموعة كبيرة من الأشجار والشجيرات. ومحبو الطيور يمكن أيضا أن يشاهدوا مايزيد على مائة وثلاثين نوعا منها، من بينها أسراب من الببغاوات ذات الألوان الزاهية.

صوفى البخارى

www.calm.wa.gov.au/national_parks/previous_parks_month/purnululul.html

الجامعات تحت الرقابة الشديدة

الإيرانيون يتظاهرون خارج الحرم الجامعى فى طهران فى يونية/حزيران الماضى

لايمكن أن نسلم جدلا بالحرية الأكاديمية، فلاتزال أفواه الطلبة وهيئات التدريس مكممة فى العديد من الدول، باسم أمن الدولة، أو السرية الصناعية

المنظر

«ميانمار» فى أوائل يونية/حزيران عام ٢٠٠٣. بينما كان يتجه الطلبة إلى محاضراتهم، إذ بهم يجدون أبواب جامعاتهم مغلقة. فعقب إلقاء القبض على «أونج سان سوكى» فى الثلاثين من مايو/أيار، أقدمت الحكومة على غلق جامعة «ميانمار»، حتى تحول دون حدوث أى مظهر من مظاهر التأييد والمساندة للفائزة بجائزة نوبل للسلام.

وبعد أيام قليلة، وفى طهران، جرى إيقاظ الطلبة من جامعة طهران فجأة، وانهال عليهم بالضرب أعوان الحكومة. وقد أسفر هذا الهجوم المباغت عن إصابة خمسين طالبا بجروح، اشترك كثيرون منهم فى المظاهرات المعادية للحكومة التى هزت البلاد لعدة أسابيع.

وليس الطلبة هم الوحيدون الذين يدفعون ثمن هذا الشكل من أشكال الرقابة الحكومية. فالأساتذة

مستهدفون أيضا. ففى مارس/آذار من هذا العام برأت إحدى المحاكم المصرية أخيرا د. سعد الدين إبراهيم، وهو أحد النشطاء فى مجال حقوق الإنسان، وأستاذ فى علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية فى القاهرة، وكان قد حكم عليه فى مايو/أيار عام ٢٠٠١ بالسجن خمس سنوات بتهمة الكسب غير المشروع، وإفشاء معلومات خاطئة للخارج.

وقد سجلت هذه الحالات جميعا، وحالات كثيرة أخرى مماثلة، شبكة التعليم والحقوق الأكاديمية المسماة "NEAR" (Network for Education and Academic Rights)، ويمكن أن تجدها على هذا الموقع فى الشبكة (www.nearinternatrional.org) . وشبكة الإنذار هذه، التى أنشئت عام ٢٠٠١ بمساعدة اليونسكو، تجمع معا مايزيد على أربعين من المنظمات غير الحكومية التى تنخرط فى النضال من أجل الحرية الأكاديمية. وهى تطلق إشارات الإنذار عند الضرورة، مستخدمة المعلومات التى تظهر فى الصحافة، أو تلك التى يتم جمعها على أرض الواقع من جانب المنظمات الأعضاء. والهدف هو أن تلفت الاهتمام للدول التى تسىء إلى الحريات الأكاديمية بما يؤثر على كل من المدرسين والطلبة. وبما يتراوح من التدخل فى حرية الكلام إلى السجن والاختفاء.

الدفاع عن حقوق المدرسين

وإذا لم يكن هناك نصوص محددة حول حقوق الطلبة، فإن الأساتذة يمكن أن يشيروا إلى توصيات اليونسكو لعام ١٩٩٧، حول وضع المدرسين فى التعليم العالى (انظر الإطار ص٢٨). وهذا النص يؤكد أن المدرسين يجب أن يكونوا قادرين على أن يتمتعوا بحرية التدريس والمناقشة، وأن يجروا البحوث، وينشروا ما أسفرت عنه من نتائج. كما يجب أن يتاح لهم أن يعبروا عن أفكارهم فى حرية فى شأن المؤسسة التى يعملون فيها ومن أجلها.

ويقول «أندريس باربلان» ـ المستشار الخاص للجامعة الأوروبية فى جنيف: «إن هذه نقاط مهمة لأن المدرس أو الجامعة يجب أن يكون قادرا على أن ينافس ماهو مقبول ومعروف حول عصر معين. وتقدم المعرفة يستجيب لدافع باطنى أقوى من مصالح الدولة».

المؤتمر العالمى للتعليم العالى + ٥

كانت الحرية الأكاديمية فى مقدمة جدول أعمال المؤتمر العالمى للتعليم العالى +٥ الذى عقد فى مقر اليونسكو فى يونية/حزيران الماضى ٢٣ ـ ٢٥. وقد حضر المؤتمر أكثر من أربعمائة من المشاركين من مائة وعشرين دولة، وقام بتقييم التقدم الذى تحقق تجاه الأهداف التى وضعها المؤتمر العالمى للتعليم العالى الذى عقد فى باريس فى عام ١٩٩٨. **وقد اتفق الجميع على أنه لم يحدث فى أى وقت** فى تاريخ البشرية أن اعتمدت رفاهية الدول بشكل مباشر على نوعية وأهداف نظم ومؤسسات التعليم العالى لديها، وأن النوعية والأهداف المطلوبة يمكن أن تتحقق إلى حد كبير فقط إذا احترمت الحرية الأكاديمية لكل من هيئة التدريس والطلبة.

وقد تهدد التغييرات التى تزحف على التعليم العالى، فى بعض الظروف ـ الممارسة الحقيقية للحرية الأكاديمية. والاستقلالية الجامعية واستقلالية البحوث، وهذا ماقاله محذرا «كويشيرو ماتسورا» المدير العام لليونسكو فى كلمته الافتتاحية فى المؤتمر، ثم قال: «ويجب أن تلاحظوا أنه إذا كانت هذه المبادئ والقيم مهمة بحكم حقها، فقد تكون هناك اعتبارات أخرى يجب أن نعيها كذلك. ومثال ذلك أن تقليص الحرية الأكاديمية قد يغرى «بنزف العقول»، أو يسبب ترك أو هجرة بعض مجالات البحث».

ومع ذلك، فإن الكثير من الدول تتملق فقط هذه الحريات، وتعد بها كلاميا فقط. ومنذ بداية العام سجلت شبكة «نير» (شبكة التعليم والحقوق الأكاديمية) سبعا وثلاثين حالة من الانتهاكات «للحرية». وتشير الأرقام إلى زيادة طفيفة عن السنوات الماضية. ويقول «جون أكر» المدير التنفيذى للشبكة: «ولكن قد يكون هذا لأن الشبكة تأسست بشكل أفضل، وأن الكثير من الحالات يتم نقلها»، ثم يضيف قوله: «وهذه النماذج كلها تظهر أن الكثير من النظم لاتزال تعتبر الجامعات مراكز محتملة للقلق والاضطرابات».

وهذه هى الحالة بالضبط فى إفريقيا، حيث يتم الضغط غالبا على المدرسين والطلبة. ويقول «أديبايو أولوكوشى» السكرتير التنفيذى لمجلس تنمية بحوث العلوم الاجتماعية فى إفريقيا: «إن معظم الدول تفعل ذلك. ومن الأيسر أن تكمم أفواه الصحافة أكثر من المدرسين والطلبة. لذلك تبدو الجامعات غالبا المعقل الأخير لحرية التعبير، وهذا هو السبب فى مراقبتها بشكل دقيق. وفى الحالات المتطرفة يمكن أن يمضى هذا الاتجاه إلى أبعد من ذلك، فيتم احتجاز المدرسين أو سجنهم، أو توضع قيود مشددة على محتوى المقررات الدراسية».

وهناك أيضا أساليب أقل مباشرة لقمع المحاضرين الذين تعتبر آراؤهم «مستقلة جدا». فيمكن إلغاء المحاضرات على نحو اعتباطى، ويمكن أن ترفض الترقيات بشكل منتظم، أو تستبعد هيئة

فى ميانمار، مسؤولو الأمن يجلسون خارج جامعة «يانجون» المغلقة.

الحرية الأكاديمية هى.....

■ «**إن هيئة التدريس فى التعليم العالى** يجب ألا تضطر لتدريس مايتعارض مع معرفتها وضميرها» هكذا تقول توصية اليونسكو فيما يتعلق بوضع هيئة التدرس فى التعليم العالى، والتى اتخذت عام ١٩٩٧. وهذه التوصية تحدد فى موادها ٢٥ ـ ٣٢ الحرية الأكاديمية وتقدم تعريفا وافيا عنها. وتقول التوصية: «إن العاملين فى مجال التعليم العالى يجب أن يتمتعوا بهذه الحقوق الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والمدنية المعترف بها دوليا، والتى تطبق على جميع المواطنين.

■ **ولكنها ـ أى التوصية** ـ تعترف بحقوق خاصة بالمهنة، وهذه الحقوق تتضمن «حرية التدريس بدون أى تدخل، وإجراء البحوث، ونشر نتائجها. والتحرر من الرقابة المؤسساتية، وحرية المشاركة فى الهيئات الأكاديمية المهنية أو النيابية». وتعترف توصية اليونسكو كذلك بحرية التعبير عن آرائهم فى المؤسسة أو الجهاز الذى يعملون فيه . وتضيف التوصية «يجب أن يكون للعاملين فى مجال التدريس فى التعليم العالى الحق فى إنجاز أعمالهم بدون تفرقة من أى نوع، وبدون خوف من اضطهاد الدولة أو أى مصدر آخر». وتمضى التوصية فتقول: «إنه فى حالة الانتهاك الصارخ لحقوقهم، يكون على العاملين فى التدريس فى التعليم العالى الحق فى أن يلجأوا إلى الهيئات الوطنية، أو الإقليمية، أو الدولية، ذات الصلة، مثل وكالات الأمم المتحدة، كما يجب على المنظمات التى تمثل العاملين فى مجال التدريس فى التعليم العالى أن تقدم التأييد والدعم الكامل فى مثل هذه الحالات.

* يمكن أن تجد النص الكامل للتوصية فى:
www.unesco.org/education/docs/recom_e.html

القاهرة، يناير/كانون ثان عام ٢٠٠١ سعد الدين إبراهيم أحد النشطاء المصريين فى مجال حقوق الإنسان (إلى اليمين) يتحدث إلى أحد محاميه فى المحكمة العليا فى القاهرة

التدريس من الجهات التى تتخذ القرارات. وفى قارة يتم فيها تمويل الجامعات أساسا من الأموال العامة يكون «المال» وسيلة فعالة أخرى للضغط. ويقول «أولوكوشى»: «إن تخفيض تمويل الجامعات بنسبة ٢٥٪ يكفى للحيلولة دون أن تعمل بشكل طبيعى». وهذا حقيقى تماما عندما نعرف أن وضع المدرسين الذين نادرا مايتجاوز مرتب الواحد منهم ـ هذا إذا حصلوا عليه ـ خمسمائة دولار فى الشهر ـ مزعزع بالفعل بما فيه الكفاية.

النقود تتكلم

يمكن أن تواجه الجامعات فى الدول الصناعية نوعا مختلفا تماما من الضغوط: فالشركات الخاصة تقوم ـ على نحو متزايد ـ بدور كبير فى الجامعة، فهى على الأقل تمول جزءا من البحوث التطبيقية. فقد حدث فى نوفمبر/تشرين الثانى عام ١٩٩٨، مثلا، أن عقدت جامعة كاليفورنيا فى بيركلى (الولايات المتحدة) صفقة بخمسة وعشرين مليون دولار مع شركة «نوفارتيس» السويسرية. وطبقا للاتفاق يتلقى قسم النبات والأحياء المكروبية منحا بخمسة ملايين دولار سنويا لمدة خمس سنوات. وفى مقابل ذلك تقوم شركة الأدوية السويسرية العملاقة بالحصول على حقوق «براءة الاختراع» للاكتشافات التى قام بها الباحثون فى القسم.

ومثل هذه الاتفاقيات تسهم فى تمويل البحوث، وتقول الجامعة: إن شركة «نوفارتيس» قد اختيرت كشريك، «بسبب اهتمام الشركة بضمان الحرية الأكاديمية». ولكن أهداف الشركات لاتتطابق دائما مع رسالة الجامعة. ويقول «باربلان»: «إن بعض الشركات الكبيرة تدرك أن البحوث الحرة يجب مساندتها، ولكن هذا لايصدق فى كل حالة»، فالطلبة الذين يعملون فى نطاق الجامعة، وتقوم الشركات الخاصة بتمويلهم، يمكن أن يواجهوا صراعات تتعلق بالولاء. وقد لاحظ هذا «كلود اليجر»[١]، وزير التعليم السابق فى فرنسا، فى أثناء زيارة له لمعهد ماساشوستس للتقنيات فى بوسطن ـ الولايات المتحدة ـ وقال: «فى معمل البحوث الواحد يمكن لطالب تمول أعماله إحدى الشركات أو مجموعة من شركات الأدوية مثلا، أن يعمل جنبا إلى جنب مع طالب تقوم بتمويله شركة منافسة. ولايسمح لهما أن يناقشا عملهما حتى إذا كان عملهما يلمس الموضوعات الواحدة» ويقول «أنوريس باربلان»: «لايمكن أن ننكر أن الحرية الأكاديمية تتأثر كثيرا فى مثل هذه المواقف».

أجنس باردون

(١) الاستقلالية والمسؤوليات. التزامات الجامعة للقرن الحادى والعشرين ـ مطبعة جامعة بونونيا عام ٢٠٠٢.

لن تضطر إلى شراء كمبيوتر شخصى لتفيد من تقنيات المعلومات والاتصال، كما ترى من خلال هذا المقهى للإنترنت فى نيويورك، والذى يضم ثمانمائة من أجهزة الكمبيوتر الشخصى.

من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة

إن الإجراءات التكنولوجية وحدها لن تكون كافية لسد الفجوة الرقمية. وتعتقد اليونسكو أن الجوانب الاجتماعية، والسياسية، والثقافية لثورة المعلومات يجب أن تعالج إذا كانت الناس، فى الشمال والجنوب، تريد أن تجنى ثمارها تماما.

أدت التقنية الجديدة فى المعلومات والاتصال - فى العقد الماضى - إلى تفجير ثورة هادئة، أحدثت تأثيرها، بشكل خاص، على التعليم العالى، وتيسير الحصول على المعلومات. ولاتزال الثورة فى بدايتها فحسب. وهناك آمال كبيرة فى أن تعزز تقنيات الاتصال والمعلومات حرية التعبير، والتنوع الثقافى، والحكم الجيد، وكذلك - وليس هذا بأقل أهمية - مكافحة الفقر. ولكن هناك بعض التحذيرات، يحتمل كثيرا أن تلقى الضوء عليها القمة العالمية حول مجتمع المعلومات التى ستعقد فى جنيف بسويسرا فى ديسمبر/كانون أول هذا العام. وذلك عندما تبحث

الطرق والوسائل لسد مايسمى بالفجوة الرقمية التى تحدث تفرقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، بل والجماعات والطوائف فى داخل البلد الواحد.

ويرى «كويشيرو ماتسورا» المدير العام لليونسكو: «إن إتاحة المعلومات والمعرفة تحدد - على نحو متزايد - أنماط التعلم، والتعبير الثقافى والمشاركة الاجتماعية، وكذلك توفير الفرص للتنمية، والحد من معدلات الفقر على نحو فعال، والمحافظة على السلام. والحق أن المعرفة قد أصبحت قوة أساسية في التحول الاجتماعى».

وهذا هو السبب فى أن اليونسكو تروج لمفهوم مجتمعات المعرفة أكثر من المفهوم الأكثر تكنوقراطية «لمجتمع المعلومات»، الذى يؤكد على مسألة الاتصال وحدها، ولايقول شيئا عن محتوى شبكات الاتصال الجديدة واستغلالها. ويوضح «ماتسورا» هذا فيقول: إن بناء مجتمعات المعرفة يتطلب احترام أربعة مبادئ أساسية هى: تيسير التعليم، وإتاحته على نحو متكافئ - حرية التعبير - الإتاحة الشاملة للمعلومات، الأمر الذى يقوم على دعم المجال العام للمعلومات - والمحافظة على التنوع الثقافى وتعزيزه، بما فى ذلك تعددية اللغات».

وثمة مثال قوى على ثورة تقنيات المعلومات والاتصال يتمثل فى التعلم عن بعد فى التعليم العالى. ويقول «جون دانييل» المدير العام المساعد لليونسكو لشؤون التعليم : «إن التعليم - على مدى التاريخ - مقيد فى داخل مثلث أبدى دائم، أضلاعه: «النوعية والجودة»، و«مدى إتاحته، وتيسير

تقنيات المعلومات والاتصال: حقائق وأرقام

- عدد مستخدمى الإنترنت: ٦٦٥ مليونا (لعام ٢٠٠٣) - ٥٨٠ مليونا فى عام ٢٠٠٢ - عشرة ملايين فى عام ١٩٩٣.

- عدد الحواسيب (لعام ٢٠٠٣): ٦٥٠ مليونا - ٦١٠ ملايين فى عام ٢٠٠٢ - ١٧٥ مليونا فى عام ١٩٩٣ - وعدد الحواسيب فى الدول الأقل تقدما: ١,٣ مليون فى عام ٢٠٠١ (فى مقابل ٦٨٤ مليونا من السكان).

- عدد مستخدمى الإنترنت فى الدول الأقل تقدما: ١,٨ مليون عام ٢٠٠١.

- الحواسيب المرتبطة بالإنترنت لكل ألف من السكان فى عام ٢٠٠١

دول الدخل العالى فى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية	٤٠٠
دول منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية	٣٣٢
دول أمريكا اللاتينية والكاريبى	٤٩
وسط وشرق أوروبا وCIS	٤٢,٨
الدول المتنامية	٢٦,٥
شرق آسيا - الباسفيك	٤١,٤
إفريقيا جنوبى الصحراء	٧,٨
الدول العربية	١٥,٦

إتاحة فرص التعليم تنتشر فى كل مناطق العالم. ولكن هل بمقدور كل فرد أن يحصل على المعلومات التى يريدها ويحتاجها باللغة التى يمكن أن يفهمها؟.

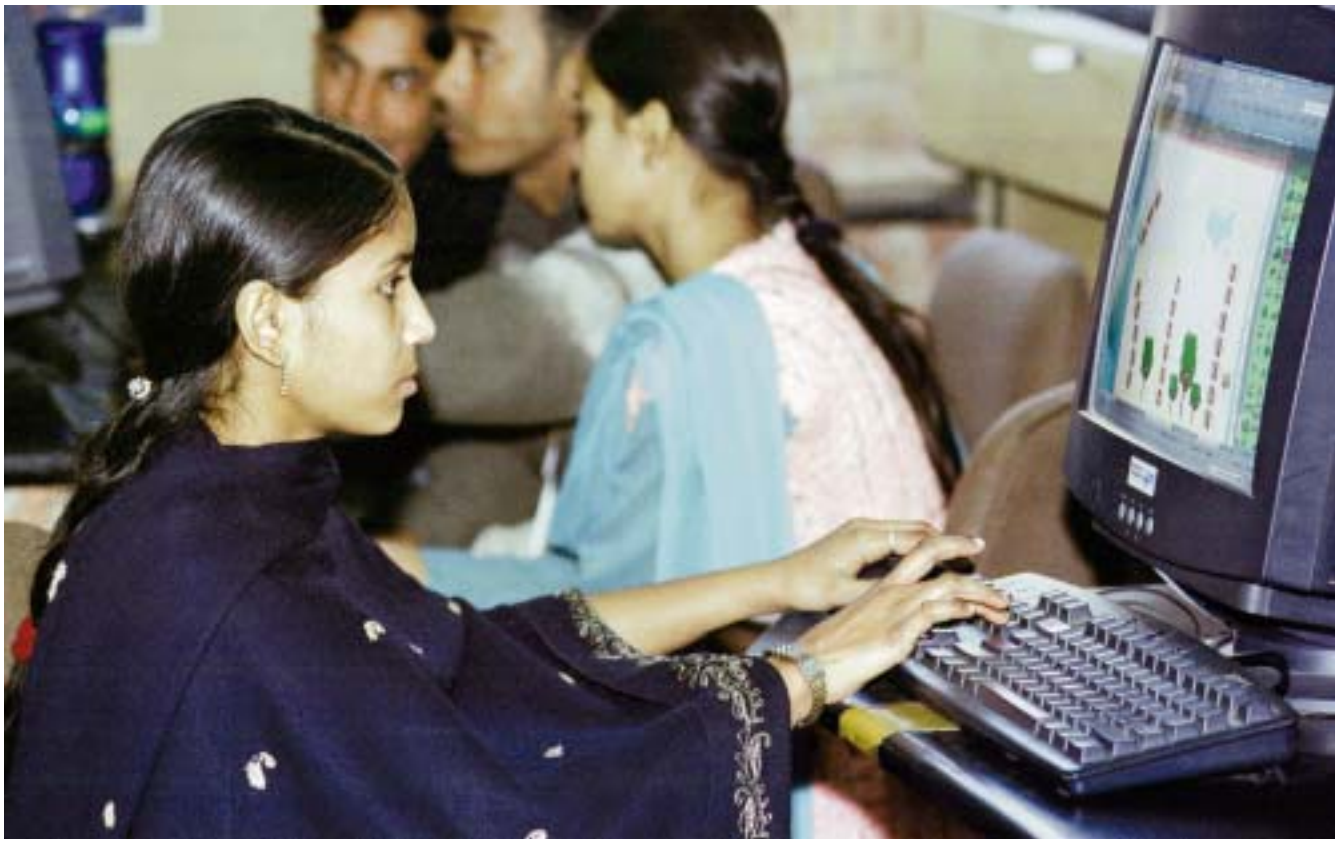

الحصول عليه» وتكاليفه. ومع الأساليب التقليدية تتجه الجودة (النوعية) إلى الهبوط عندما تضاعف من إتاحة الفرص، أو تعمل على تخفيض التكاليف. والجامعات المفتوحة تثبت أنه يمكن الحصول على درجة أكبر من إتاحة الفرص (للتعليم)، وعلى الجودة العالية، وعلى التكاليف الأقل ـ كل ذلك فى وقت واحد». ويضيف «دانييل»: «إن التعليم عن بعد أقل تكلفة من التعليم التقليدى، كما وضح ذلك فى دراسة بتفويض من حكومة المملكة المتحدة تظهر أن التكاليف الكلية لأية درجة علمية فى الجامعة المفتوحة فى المملكة المتحدة تمثل مابين ستين وثمانين بالمائة من تكاليف الدرجة العلمية التقليدية».

تقنيات المعلومات والاتصال ـ لماذا؟

ولكن لايزال لتقنيات المعلومات والاتصال أثرها الضئيل على التعليم الابتدائى والثانوى، وعلى الأخص فى الدول النامية. ويمكن أن يقال إن وجود ٨٦٢ مليونا من الأميين فى العالم، و٢١١ مليونا من العمال الأطفال، يناقض الفكرة الحقيقية لمجتمع المعلومات. فهؤلاء ليسوا فاعلين فى عصر مابعد الصناعى القائم على أساس المعرفة.

وتطوير «روابط» أو «وصلات» الأقمار الصناعية، ووصلات الإنترنت السريعة فى الجنوب، بالإضافة إلى إيجاد مراكز لوسائل الإعلام المتعددة، التى تتيح للمجتمعات والطوائف سهولة التعامل مع الحواسيب المرتبطة بها، شرطان لامفر منهما لتوسيع نطاق التقنيات الجديدة، والمعرفة التى تستطيع أن تنشرها. ولكن هذا لايكفى.

إن تقنيات المعلومات والاتصال ـ وخصوصا الإنترنت ـ وسيلة ذات اتجاهين، فهى فى المقام الأول توفر منبرا للتعبير، وكذلك تعمل على تيسير الحصول على المعلومات. وحرية التعبير ضرورية، إذا كان لابد للإنترنت أن يخدم الأفراد والمجتمعات. فإذا كان الناس يبحثون عن حلول لمشكلاتهم، فلابد أن يكونوا أحرارا فى التعبير عن آرائهم، واقتسام خبراتهم، بدون خوف من أى أعقاب بسبب الإفصاح عن آرائهم، أو إبداء ملاحظات لاتتماشى مع العرض الرسمى للحقائق التى تتعلق بالقضايا الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسية، أو الصحية، أو الثقافية.

وفى وسط هذه الاهتمامات بالأمن، وخصوصا مكافحة الإرهاب، بالإضافة إلى احترام التشريعات الوطنية ـ فيما يتعلق بالاعتداء الجنسى على الصغار، وتهريب المخدرات، وأحاديث الكراهية، تحذر المنظمات الصحافية المهنية، مثل الاتحاد الدولى للصحافيين، والرابطة العالمية للصحف، وتؤكد أن حرية التعبير، وهى حق إنسانى أقره الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، يجب أن تحترم. واليونسكو تساند هذا الرأى بحجة أن المعلومات والاتصالات المباشرة على التقنيات الإلكترونية يجب أن تتمتع بالحقوق التى تتمتع بها المطبوعات التقليدية، ووسائل الإعلام الإذاعية.

واليونسكو تشعر بالقلق، ليس فقط بسبب المضايقات التقليدية للصحافيين، والتى تمارسها بعض الدول، ولكن أيضا بسبب القيود غير المرئية

تقنيات التليفون المحمول تحل حاليا محل الخطوط التليفونية الأرضية باهظة التكاليف فى الأماكن ذات البنية التحتية الضعيفة، وهى وسيلة جيدة للتعامل مع الإنترنت.

على حرية التعبير، ومن بينها الإجراءات المالية (مثل الضرائب المرتفعة على الأجهزة الضرورية، والتعريفة على الاتصالات السريعة)، والإجراءات الفنية (التطوير البطىء لشبكات التليفون المحلية، وتصفية البرمجيات وإعاقتها على الخدم servers)، والإجراءات الإدارية (الالتزام بالحصول على تصريح من السلطات لتسجيل المواقع على الشبكة، ورفض تركيب خادم "server" على المستوى الدولى)، وإجراءات تشريعية لحصر المواقع التى يحتمل أن تتضمن معلومات تضر بالأمن، أو تكون هدامة من الناحية السياسية مثلا.

والإنترنت تمكّن الأفراد والجماعات من إقامة وسائط (وسائل) إليكترونية مستقلة بتكاليف أقل كثيرا عما كان ممكنا من قبل. وبهذا المعنى تكون أداة قوية لتعددية الوسائط، وحرية التعبير، ولكن المراقبين يلاحظون أن إتاحة مثل هذه الوسائط الإليكترونية البديلة ـ حتى مع اكتشاف أو ابتداع وجودها ـ أمر صعب، ولاتزال الوسائط التقليدية تجتذب الأغلبية العظمى من المتعاملين مع الشبكة، والذين يبحثون عن الأنباء.

التنوع فى عصرالعولمة

أحدثت تقنيات المعلومات والاتصالات ثورة فى إتاحة المعلومات، وتيسير الحصول عليها. ولكن تزويد الناس بهذه المعلومات لايعتمد فحسب على جعل المحطات الطرفية للكمبيوتر (الحاسب) متاحة فى الأماكن التى قد لاتتمتع حتى بالكهرباء، بل أيضا السماح للناس باستخدامها. ويمكن أن تكون الإنترنت مهمة فحسب للفرد أو الجماعة بقدر ما تزودهم بالمعلومات التى تكون ذات صلة وثيقة بحاجاتهم، وبلغة يمكن أن يفهموها. ثم إن التطور بالمعلومات المحلية أمر حاسم إذا أمكن لتقنيات المعلومات والاتصالات أن تعززالحكم ذا الشفافية، والإدارة الإليكترونية، مما يوفر التفاعل الطيب مع السلطات العامة.

ومن المهم أيضا أن ندعم الإتاحة الحرة للمعلومات التى تأسس على المجال العام، والتى تولدها المشروعات التى يمولها القطاع العام، أو المواد التى أبطلتها حقوق الطبع والنشر. وحقوق الطبع ضرورية كحافز للإبداع، ولرغبة القطاع الخاص فى تمويل البحوث والتنمية. ولكن لابد من

اللغات الإحدى عشرة الموجودة على الإنترنت

فى عام ٢٠٠٣ استخدم ٩٠٪ من مستخدمى الإنترنت إحدى عشرة لغة. والإنجليزية هى الأكثر استخداما، ولكن من المتوقع أن تتقدم اللغة الصينية فى ٢٠٠٧.

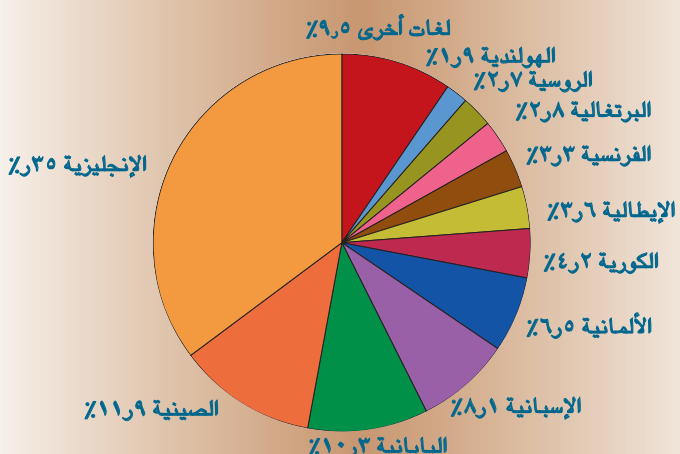

توازن بين حقوق الطبع، وحق العامة فى إتاحة المعلومات، ومن بينها المعلومات العلمية والتربوية. وتحقيقا لهذه الغاية انهمكت منظمة اليونسكو فى النشر الإلكترونى لمادة وبرمجيات مقرر تعليمى مجانى مثل برنامج «لينوكس».

وفى هذه الأثناء يرى البعض أن الإنترنت وسيلة للاندماج الثقافى، فى حين يقول آخرون إنها على العكس، تؤيد التنوع وتدعم ثقافة الجماعات الأقلية (الأقليات). وبالرغم من وضع الاتجاهين فإن «أرمان ماتيلدر» أستاذ الإعلام وعلوم الاتصال بجامعة باريس VIII، يعتقد «أن هناك فى الوقت الحاضر ثقافات قليلة للأقلية لديها الإمكانيات الضرورية لاستخدام الإنترنت، للإعلان عن آرائهم، وسماع أصواتهم». أما «دان شيللر» - أستاذ المكتبات وعلوم المعلومات والاتصالات والدراسات الإعلامية بجامعة «إلينوى» (الولايات المتحدة) فيعتقد «أن الاتجاه المهيمن هو بلاشك ضد التنوع بالمعنى الكامل للكلمة».

قضية تعددية اللغات

ومع ذلك، فهناك بوادر للتغيير. ويقول «شيللر»: «إن الواضح تماما اليوم أن النظم القديمة لتوزيع الثقافة فى اتجاه واحد - مثل التليفزيون الذى يشاهد فيه الناس فى «تونجا» أو شرق آسيا إعادات كثيرة للأفلام (التى تصور الحياة فى الأقاليم الغربية من الولايات المتحدة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر). تعيش حالة من التحول. ثم إن الإنتاج الثقافى العالمى ينحو تجاه إضفاء الطابع التجارى على المحتوى الثقافى المحلى، على نطاق كوكبى، الأمر الذى يعنى أن التأثير الثقافى الأجنبى على المنتجات التى تباع للناس فى الولايات المتحدة، مثلا، يكون أكبر مما كانت عليه الحال فى العقود الماضية. ويقول «شيللر»: «وهكذا يكون هناك نوعية جديدة متعددة الأشكال للإنتاج الثقافى، ولكن هل هذا تنوع ثقافى حقيقى أم أنه تطفل للتنوع الثقافى»؟.

وثمة طريق واحد لتعزيز التنوع الثقافى بمساندة اليونسكو، يتمثل فى أن نزيد عدد اللغات على الإنترنت، ونساند إنتاج «المضمون» المحلى بلغات كثيرة قدر المستطاع. وهذا يتضمن التعامل مع التحدى الذى تفرضه النصوص غير اللاتينية فى الفضاء الإلكترونى. وتتأسس الحجة على ذلك فى أن علاقة الناس بالوسائط الجديدة، والقدرة على تفجير طاقاتها، سوف تتحسن إذا تمكنوا من إيجاد المادة التى يحتاجون إليها ويريدونها بلغتهم للتعبير عن حاجاتهم، وبناء شبكاتهم.

وصيانة التراث، والمحافظة عليه، مهم بدرجة متكافئة من أجل مساندة وتعزيز التنوع الثقافى. وقد اتخذ مفهوم الصيانة معنى جديدا منذ قدوم الحاسوب. فالأعمال والبيانات التى يتم إنتاجها بالطريقة الرقمية ترتبط بالجهاز والبرمجيات التى تصبح عتيقة بسرعة كبيرة، ويضيع معظم هذا الإنتاج فى الوقت الراهن، إما لأنه يشطب عندما لم يعد مطلوبا، وإما لأن «الدعائم» التى أُنتجت من أجلها لم تعد متاحة. وتنشغل اليونسكو بالبحث عن حلول لهذه المشكلة، وتعمل على ضمان استمرارية إتاحتها والحصول عليها.

ويعتقد كل من «ماتيلار» و«شيللر» أن الحصول على أقصى الفوائد الاجتماعية من تقنيات المعلومات والاتصال يعتمد على التزام قوى من جانب القطاع العام، وأن تقدم القمة العالمية حول مجتمع المعلومات والإعداد لها الساحة من أجل الصراع بين هؤلاء الذين يؤيدون المبادرات التى يمولها القطاع العام، وتلك التى تتعارض معها.

و«ماتسورا» على يقين من أن القادة الذين سيحضرون القمة العالمية لديهم الفرصة لأن يستغلوا ثورة المعرفة لتحسين حياة الناس التى تخلفت حتى الآن، فى بلاد الجنوب، وفيما بين بعض المجتمعات فى الشمال.

رونى أميلان

الاتحاد الدولى للاتصالات عن بعد هو الذى ينظم القمة العالمية حول مجتمع المعلومات.
http://www.itu.int/wsis/documents/index.asp
and UNESCO:
http://portal.unesco.org/ci/ev.php?URL_ID=1543&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=01&reload

أنشطة اليونسكو لوضع المعايير للفضاء الإلكترونى

سوف تقدم اليونسكو للقمة العالمية حول مجتمع المعلومات «توصية بتعزيز واستخدام التعددية اللغوية، والإتاحة الشاملة للفضاء الإلكترونى». وسوف تطرح هذه الأداة القانونية للموافقة عليها فى الدورة القادمة للمؤتمر العام لليونسكو فى أكتوبر/تشرين أول عام ٢٠٠٣. وهى تحدد ملامح التوصيات حول الإتاحة المتكافئة للمعلومات، وتنمية مجتمعات المعرفة الثقافية المتعددة، وحول مدى تيسير المحافظة على التنوع الثقافى واللغوى.

وثمة أداة دولية أخرى لوضع المعايير سوف تطرح للأخذ بها على المؤتمر العام، ألا وهى مسودة ميثاق اليونسكو حول صيانة التراث الرقمى. وهى تحدد المبادئ والتوصيات من أجل صيانة التراث الذى يعتبر مهما جدا، ولكنه مصدر ضعيف وهش للمعرفة، كما تحدد طرق تأمين الحصول عليها.

http://portal.unesco.org/ci/ev.php?URL_ID=8357&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=20&reload

فللينى من الشرق إلى الغرب

حصل المخرج السينمائى «ليستر جيمس بيرين» (سريلانكا)، و«كلينت إيستوود» (أمريكا) على «ميدالية فيللينى الذهبية» لليونسكو، وقد قدمها لهما المدير العام للمنظمة فى مهرجان كان (فرنسا) السينمائى الذى أقيم فى الرابع والعشرين من مايو/أيار هذا العام، وذلك اعترافا بأعمالهما المتميزة فى صناعة السينما.

ويعتبر «بيرين» (٨٠ عاما) الأب للسينما فى سريلانكا. و قد كان نجاحه الأول فى عام ١٩٦٣ مع فيلم «تغييرات فى القرية»، ومضى فى مشواره ليقدم عشرين فيلما طويلا. أما «إيستوود» (٧٣ عاما) فقد اكتشف مجموعة كبيرة من الأنماط الفنية فى الأفلام الأربعة والعشرين التى أخرجها، بما فيها أفلام الطرق، والدراما، والإثارة، ورعاة البقر.

أما ميدالية فيللينى الفضية لليونسكو فقد منحت فى السادس عشر من يونية/حزيران هذا العام للأفغانى «صديق بارماك» الذى حصل فيلمه الطويل «أسامة» على عدة جوائز دولية. ويرأس «بارماك» ـ الذى ولد فى عام ١٩٦٢ ـ وكالة السينما فى أفغانستان، كما يشرف أيضا على ACEM وهو اتحاد، تسانده اليونسكو ، يعزز التعلم، والثقافة، والفنون.

البوسنة والهرسك فى البينالى

لأول مرة فى تاريخها تعرض البوسنة والهرسك أعمالها في «البينالى» فى «فينيسيا» (البندقية)، والذى افتتح فى شهر يونية/حزيران، فقد عرض أربعة من الفنانين من هذه الدولة، التى تقع فى الجنوب الشرقى من أوروبا. وهم: «ايدين نومان (نعمان) كاديتش ـ يوسف (جوسوف) هاجيفيزوفيتش ـ ماجا باجيفيتش ـ نيبوزا ـ سيرتيش ـ سوبا ـ أعمالهم فى «كورتيل بالاتزو زورزى»، الذى يضم مكتب اليونسكو فى فينيسيا. وهناك مصور (رسام) خامس هو «دامير نيكستش»، عرض أعماله فى نطاق المعرض الذى حمل عنوان «أحلام وصراعات ـ ديكتاتورية المشاهد». وقد نشأت هاتان المبادرتان من التعاون بين اليونسكو ووزارة الشؤون الخارجية الإيطالية ومدينة فينيسيا، والمشروع الثقافى الدولى Ars Aevi، الذى يساند إنشاء متحف الفن الحديث فى «سراييفو».

أول محطة إذاعية للمرأة فى أفغانستان

بدأ «صوت المرأة الأفغانية»، وهى محطة إذاعية مستقلة، تقوم بتشغيلها وإدارتها المرأة الأفغانية، بثها الإذاعى اليومى فى كابول فى الثامن من مارس/آذار لتتزامن مع اليوم العالمى للمرأة. وهذه المحطة التى تديرها المنظمة الوطنية غير الحكومية لمحترفات الإعلام، وهى صوت المرأة الأفغانية فى الوسائل الإعلامية الشاملة، قد قامت بمساندة اليونسكو وتأييدها.

والمحطة تبث بلغة الدارى البرامج التعليمية، والتى تتعلق بالتنمية، وتلك التى تتعلق بالترفيه والتسلية مع التركيز على قضايا المرأة ونشاطاتها. و هناك محطة أخرى FM قامت اليونسكو بتجهيزها فى أفغانستان، تبدأ إذاعتها فى كلية الصحافة فى جامعة كابول. وتعتبر هذه أول محطات إذاعية «مجتمعية» تعمل منذ سقوط طالبان.

بنما تعمل على حماية تراثها تحت الماء

أصبحت بنما، فى الرابع من أبريل/نيسان عام ٢٠٠٣، أول دولة تصدق على ميثاق التراث الثقافى تحت الماء. وهذه الوثيقة القانونية، التى تبناها المؤتمر العام لليونسكو فى الثانى من نوفمبر/تشرين ثان عام ٢٠٠١، تحظر سلب الحطام فيما تحت الماء، والمواقع الأثرية لأكثر من مائة عام، وكذلك الاتجار بأشياء أخذت من مثل هذه الكنوز الغارقة، وسوف يصبح الميثاق الذى يعطى أولوية للصيانة فى الموقع ذاته سارى المفعول عندما تحذو تسع عشرة دولة أخرى حذو بنما.

صحفية إسرائيلية تفوز بالجائزة العالمية لحرية الصحافة لعام ٢٠٠٣

فازت هذا العام الصحفية الإسرائيلية «أميرة هاس» بجائزة «اليونسكو/جوييرمو كانو» العالمية لحرية الصحافة فى «كنجستون» (جامايكا) فى أثناء الاحتفال باليوم العالمى لحرية الصحافة، وذلك عن تقاريرها حول الأراضى الفلسطينية لصحيفة هآرتس الإسرائيلية اليومية.
فعلى مدى السنوات العشر الأخيرة، كانت «هاس» الصحفية الإسرائيلية الوحيدة التى تعيش فى الأراضى الفلسطينية، وقد نالت تقديرا دوليا بسبب تقاريرها الجريئة المستقلة.
وقد أنشأ هذه الجائزة، ومقدارها خمسة وعشرون ألف دولار أمريكى، والتى أطلق عليها اسم الصحافى الكولومبى «جوييرمو كانو» الذى اغتيل عام ١٩٨٧، الهيئة التنفيذية لليونسكو فى عام ١٩٩٧. وهى - أى الجائزة - تعمل على تكريم أعمال أى فرد، أو منظمة، أو مؤسسة تدافع أو تعزز حرية التعبير، وتروج لها فى أى مكان فى العالم، وخصوصا إذا كان هذا يعرض حياة الشخص للخطر.

إيمان لايتزعزع بالسلام

كرّس الأب «إميل شوفانى»، الإسرائيلى الحائز على جائزة اليونسكو لعام ٢٠٠٣ «لتعليم السلام»، حياته للحوار بين العرب واليهود. وقد وضع مشروع «التعليم للسلام، والديمقراطية، والتعايش»، بمعهد القديس يوسف فى الناصرة. وقد تم توأمة المدرسة التى كان مديرها منذ عام ١٩٦٧، ومدرسة «ليادا» وهى مدرسة يهودية فى القدس. وقد كان من بين مبادراته المذهلة أن قام فى مايو/أيار عام ٢٠٠٣ بتنظيم رحلة مشتركة من العرب واليهود إلى معسكرات الموت فى «أوسشويتز - بيركيناو، والتى قال عنها : «إن هذه الإيماءة التذكارية دليل على رفضنا التام لمثل هذه الأعمال اللإنسانية. كما أن هيئة المحكمين أهدت كلمة تكريم وتقدير إلى «يولاندى موكاجاسانا» وهى بلجيكية رواندية قامت بإنشاء مؤسسة "Nyarimambo Point d'Appui" إحياء لذكرى المذبحة الجماعية فى رواندا، ومن أجل إعادة البناء.

خمسة ملايين من الكتب المدرسية للعراق

سوف تقدم اليونسكو خمسة ملايين من الكتب المدرسية فى العلوم والرياضيات لطلبة المدارس الابتدائية والثانوية فى العراق حتى تكون متاحة للعام الدراسى القادم. وذلك فى ظل برنامج يتكلف عشرة ملايين دولار أمريكى تعينه الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، ويتم بالتعاون معها.
وقد كان نظام التعليم فى العراق فيما قبل عام ١٩٩٠ واحدا من أفضل النظم فى المنطقة العربية: إذ كان التعليم بالمجان، وكانت معدلات التسجيل بالمدارس والتعليم عالية جدا. ومع ذلك، وفى أعقاب حرب الخليج ١٩٩٠ - ١٩٩١، وما تبعها من عقوبات اقتصادية، شهد قطاع التعليم هناك مرحلة من التدهور السريع. و يشير تقرير أخير لليونسكو حول التعليم فى الدول العربية إلى أن معدل التعلم فى العراق الآن من بين أكثر المعدلات انخفاضا فى المنطقة. وهذا البرنامج الذى يتعلق بالكتاب المدرسى يتضمن إدخال تغييرات طفيفة على الكتب المدرسية الموجودة لضمان أن محتواها دقيق، ولايسهم فى الشك، وعدم الثقة، والتفرقة، واللبس فيما بين الثقافات، أو الكراهية.
وسوف تشرف اليونسكو على تنقيحها، كما أنها سوف تنظم عملية الطبع والتوزيع

البنات العربيات يتفوقن فى المدارس - إذا التحقن بها

يقول معهد اليونسكو للإحصائيات: إن هناك ثمانية ملايين من الأطفال فى السن التى تسمح بالتحاقهم بالمدارس الابتدائية، من بينهم خمسة ملايين من البنات. ومع ذلك فإن الدلائل تشير إلى أنهن كثيرا مايتفوقن فى الأداء عن الأولاد، عندما يستطعن الالتحاق بالمدارس.
ويذكر التقرير الإقليمى للدول العربية، والذى نشر فى مايو/أيار الماضى أن هناك طفلا من بين خمسة أطفال فى سن المدرسة الابتدائية (وبنتا من بين أربع بنات) فى الدول التسع عشرة التى جرى مسحها، لم يتيسر لهم الالتحاق بالمدرسة فى العام الدراسى ١٩٩٩ - ٢٠٠٠. والالتحاق بالمستوى الثانوى أقل، إذ جرى - فى العام الذى تم فيه البحث، أو عملية المسح - قيد ستين بالمائة فقط من الذين فى سن المدرسة الثانوية (مابين اثنى عشر عاما وثمانية عشر عاما تقريبا) من بينهم ٤٧٪ من البنات. ومع ذلك، على المستوى الابتدائى والثانوى، تكون البنات اللاتى تختلفن إلى المدارس أقل احتمالا لإعادة السنة الدراسية من الأولاد، وأكثر احتمالا فى أن يواصلن الدراسة، ويكملن الدورتين.

فيلم لليونسكو يفوز بجائزة فى المهرجان الإفريقى

فاز الفيلم الروائى «محنة إيا»، وهو من إنتاج «برنامج اليونسكو للمضمون الإبداعى» بجائزتين فى مهرجان التليفزيون والسينما لعموم إفريقيا الثامن عشر، والذى عقد فى «أوجادوجو» ـ بوركينا فاسو ـ فى الفترة من الثامن والعشرين من فبراير/ شباط إلى الأول من مارس/آذار. وقد حصل هذا الفيلم ومدته ست وعشرون دقيقة، والذى أخرجه «أوجيك أسوما»، من توجو، على جوائز من الاتحاد النقدى والاقتصادى الإفريقى، ومن منظمة "Plan International" غير الحكومية. والفيلم يحكى قصة فتاة صغيرة يتم إجبارها على الرضوخ لعادات «الودونية» التقليدية التى تعتمد على السحر والشعوذة، مما يعرض تعليمها، وأسرتها، وحياتها للخطر.

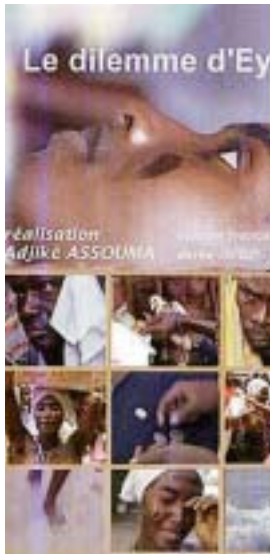

أهى نهضة للتدريس الدينى؟

يبدو أن التعليم الدينى فى صعود وتقدم فى منظومة المدارس العامة حول العالم. وقد تبين هذا من تحليل للجداول المدرسية فيما يقرب من مائة وأربعين دولة، أجراها مكتب اليونسكو الدولى للتربية والتعليم (جنيف ـ سويسرا). كما يبدو أنه مادة إجبارية فى الجداول المدرسية لثلاث وسبعين من هذه الدول، بما يعادل مرة على الأقل فى السنوات التسع الأولى المدرسية. وفى أربع وخمسين من هذه الدول وصل الوقت المخصص لهذه المادة فى السنوات الست الأولى إلى مايقرب من ٨٫١٪ من الوقت الكلى المخصص للتدريس.

وقد أظهر بحث سابق نشر منذ عشر سنوات هبوطا واضحا فى التعليم الدينى على امتداد معظم القرن الماضى. ففى مقارنة للفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٩، والفترة من ١٩٧٠ إلى عام ١٩٦٨ مثلا، نجد أن متوسط الوقت المخصص للتعليم الدينى قد هبط من ٥٫٢٪ إلى ٤٫٢٪.

وقد نشرت هذه المعلومات الأخيرة فى عدد يونية/حزيران ٢٠٠٣ من المستقبليات، وهى مجلة فصلية عن التعليم تصدرها اليونسكو ، وهذا العدد يناقش موضوع التعليم الدينى. وهناك مقالات أخرى أجرت تحليلات لتطور التدريس الدينى فى القرن الأخير فى فرنسا، وإسرائيل، وباكستان، والاتحاد الفيدرالى الروسى.

www.wkap
.nl/journals/prospects
or http
://www.ibe.unesco.org

مابيـــن النمـــــر والتمساح

كيف يشق الإنسان طريقه بين التمساح الذى يمشى ببطء وبتشامخ فى الماء، والنمر الذى يمشى على ضفة النهر؟. إن المداخل أو الأساليب التقليدية فى كمبوديا لحل الصراعات تقدم الحلول التى يمكن تطبيقها فى المشكلات الزوجية، وقضايا العقارات. ولكن هذا التقليد أو هذا العرف سرعان ماقوضه «الخمير الحمر» الذين مالوا إلى إدانته. وأعقب ذلك فترات إعادة البناء، ومعها مفاهيم قادمة من الخارج مثل الحريات الفردية، وحقوق الإنسان، بما يحمل من الوعود الكبيرة والاضطرابات. واليوم يعمل الوسطاء جاهدين، سواء كانوا من المسؤولين أم من غيرهم، على إحداث توازن بين التقاليد السلفية والآمال الجديدة. وقد نشر مكتب اليونسكو فى «بنوم بنه» دراسة بعنوان «مابين النمر والتمساح»، وهى دراسة رائعة تتعلق بتطور ممارسات حل الصراعات فى كمبوديا، أجرتها عالمة الاجتماع الفرنسية «فابيين لوكو» معتمدة على الكثير من البينات والدلائل.

للاتصال، مكتب اليونسكو ـ صندوق بريد ٢٩ ـ بنوم بنه ـ كمبوديا.

phnompenh@unesco.org

إجراء البحوث على الباحثين

بالرغم من أن الدول الأقل تقدما تستوعب ٧٩٪ من سكان العالم، إلا أنها تمثل فحسب ٢٧٪ من العدد الإجمالى للباحثين. وهذا مايقوله معهد اليونسكو للإحصائيات.

ويذكر المعهد أن ثلاثة من بين كل ألف من السكان فى الدول المتقدمة، يكونون من الباحثين، فى حين أن ثلاثة فقط من بين كل عشرة آلاف من السكان فى الدول الأقل تقدما يكونون من الباحثين. وبلغة النفقات فإن الدول الأقل تقدما تخصص أقل من ١٪ (٠٫٩٪) من إجمالى الإنتاج المحلى للبحوث والتنمية، على حين أن الدول الأكثر تقدما تنفق، بشكل عام ٢٫٤٪ من إجمالى إنتاجها المحلى عل البحوث والتنمية.

http://www.uis.unesco.org/

فن العمارة للطوارئ

يتدخل «مهندسو الطوارئ المعماريون» فى حالات النكبات الطبيعية والتكنولوجية ـ مثل انفجار مصنع AZF في تولوز بفرنسا (سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠١). والزلزال فى «ناهرين» بأفغانستان (أبريل/نيسان عام ٢٠٠٢). والفيضانات فى وسط أوروبا (أغسطس/آب ٢٠٠٢)، وفى المواقف التى تتسم بالصراعات والأزمات. ومهمتهم هى تحسين الأمن، وتقديم النصح، وتشجيع الناس على أن يقوموا بإعادة البناء بأنفسهم، مع الوعى التام بتراثهم المحلى.

وفى الثالث عشر من شهر يونية/حزيران عقدوا أول مؤتمر دولى لهم فى اليونسكو، حيث ناقشوا ـ من بين موضوعات أخرى ـ إنشاء مؤسسة وقفية. وفى أثناء المؤتمر أعلن الاتحاد الدولى للمهندسين المعماريين، الذى يمثل ٦,٢ مليون من المهنيين المحترفين، عن نيته فى أن يعزز التعاون مع «مهندسى الطوارئ المعماريين».

داشانج : مدينة تحت القبة الزجاجية

سوف يؤدى السد «المائى» على نهر «يانجتسى» فى الصين ـ وهو أكبر سد من نوعه فى العالم ـ إلى نزوح مابين ١,٣ و١,٩ مليون من السكان، وغمر ثلاث عشرة مدينة، وأربع آلاف وخمسمائة قرية بالمياه. وقد تصور اثنان من مهندسى المعمار فى الصين طريقة لإنقاذ مدينة «واشانج» التاريخية باحتوائها تحت قبة زجاجية، وإتاحة عملية الترسيب الطبيعى للمحافظة عليها على مدى العصور. وقد أكسب هذا المشروع «ليلى» و«جيازى لى» ـ من جامعة «تسينجهاو» ببكين جائزة الهندسة المعمارية للمناظر الطبيعية لعام ٢٠٠٣، والتى تمنحها اليونسكو والاتحاد الدولى لمهندسى المعمار للمناظر الطبيعية. وقد قدم الجائزة مؤتمر الاتحاد الدولى لمهندسى المعمار للمناظر الطبيعية الذى عقد فى مايو/أيار الماضى فى «كالجارى» ـ كندا. وقد كان موضوع المنافسة لعام ٢٠٠٣، والتى أفرزت مائة وسبعين مشروعا من خمسين جامعة فى خمس عشرة دولة «المناظر الطبيعية تتهاوى».

جائزة اليونسكو للفنون الرقمية لعام ٢٠٠٣

أعلنت اليونسكو عن جائزة للفنون الرقمية لعام ٢٠٠٣ وهى تصنيف خاص لجائزة اليونسكو «لدعم الفنون». وذلك تشجيعا للشباب من ذوى المواهب الفنية الرقمية فى جميع أنحاء العالم. والجائزة مخصصة هذا العام «للتعددية الرقمية» التى تهدف إلى تدعيم الحوار فيما بين الثقافات.

وقد جرى تنظيم الجائزة بالتعاون مع «معهد علوم وفنون الوسائط الإعلامية المتقدمة» باليابان. وهى تتألف من جائزة أولى مقدارها خمسة آلاف دولار أمريكى، بالإضافة إلى قضاء ستة شهور كفنان مقيم أو متفرغ في «أياماس» بـ «جيفو». أما الجائزة الثانية والثالثة فمقدارهما على التوالى ثلاثة آلاف دولار أمريكى وألفان من الدولارات الأمريكية. والجائزة النقدية مقدمة من «صندوق هيما شيياما»، الذى أنشأه ويديره الاتحاد الوطنى لروابط اليونسكو باليابان.

So, background of this project was to form a multi-lingual database by using phonetically expressive words that mean and sound similar in the most widely spoken languages, such English, Spanish, Arabic, German, French, Russian, Portuguese, Japanese, Mandarin Chinese, Hindi... In that way user's linguistic knowledge and stylistic features like dialect, sociolect and chronolect are reduced to minimum.

الماء . فيض من وغيض

٢٠٠٣، العام الدولى للمياه العذبة

- ***خصخصة المنافذ المائية*** ص٤٠
  وضع حقوق الإنسان فى المقدمة
- ***نموذج الأرجنتين يتداعى*** ص٤٦
  الأزمة تضر بخطة الخصخصة
- ***تفادى الصراع على النيل*** ص٤٨
  الدول تتجه إلى التعاون
- ***لننقذ هذا المستنقع*** ص٥٢
  ويتلاندر تلعب دورا حيويا

الوعـــــود، مـــن التقـــدم

وضع خطة هذا التقرير وأعده «بارى جيمس» وهو صحافى فى باريس تخصص فى تغطية قضايا البيئة

يقول التقرير العالمـــى حول تنميـــة المياه: إنه لم تتحقق أية أهداف لتوفير الميـــاه ومراعـــاة صحـــة البلايـــين فى الـــدول النامية

■ **بلد يعانى الجفاف** ص٥٤
كازاخستان غنية بالبترول، ولكن بلا ماء

■ **صحراء أوروبا** ص٥٧
خطة إسبانيا لمد المياه إلى الجنوب

■ **قنبلة زمنية تثير التلوث** ص٥٩
تهديد للطبقات الصخرية المائية

■ **خفايا الماء** ص٦١
حقائق وأرقام وعجائب

يحدث فى فترات معينة أن يلتقى القادة السياسيون معا، ويقدمون وعودا يعرفون أنهم لايستطيعون المحافظة عليها وتحقيقها. وقد كان هدف اجتماع القمة الألفى للأمم المتحدة فى نيويورك فى سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠٠ أن يصل بنسبة الناس الذين لاتتاح لهم المياه «الآمنة» (العذبة) إلى نصف ماهى عليه الآن مع عام ٢٠١٥. وجاءت القمة العالمية حول التنمية المستدامة التى عقدت فى جوهانسبرج (جنوب إفريقيا) فى العام الماضى لتضيف هدفا مماثلا للبالوعات أو أنابيب الصرف.

ومواجهة هذه الأهداف وتحقيقها يعنى ارتباط مايقرب من ثلاثمائة ألف شخص كل يوم لإمداد المياه النقية وخمسمائة ألف للنظم الصحية.

«وهذا ببساطة لن يحدث فى ظل أى شىء يشبه إلى حد بعيد الظروف الحالية». هكذا تقول «مارجريت كاتلى ـ كاريسون» رئيسة «الشراكة العالمية للمياه»، وهى هيئة أنشأها فى عام ١٩٩٦، البنك الدولى، وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، والوكالة السويدية الدولية للتنمية.

والمتوقع بحلول عام ٢٠١٥ أن يكون هناك مايقرب من ثلاثة بلايين شخص ـ ويمثلون أربعين بالمائة من السكان المستهدفين فى العالم ـ يعيشون فى بلاد تجد من الصعوبة عليها، بل ومن المستحيل أن تعبئ المياه الكافية لإشباع احتياجات مواطنيها الغذائية والصناعية والمنزلية.

وعندئذ سيكون عشرات الملايين من الناس قد ماتوا من الأمراض التى يحملها الماء، من بينهم ستة آلاف طفل يوميا، طبقا لتقديرات فريق العمل متعدد الوكالات الذى أنشأته الأمم المتحدة للإعداد لقمة العام الماضى فى «جوهانسبرج»، التى تحدد فيها الماء كمجال، له الأولوية، للعمل.

ثم إن قادة الدول الثمانى الكبرى الصناعية، الذين التقوا فى مدينة «إفيان» الفرنسية فى شهر يونية/حزيران، قد وضعوا الماء فى قمة جدول الأعمال. ومن سوء الحظ، وحسب المعدل الحالى للاستثمار، لن يتحقق هدف الرعاية الصحية فى إفريقيا، وسوف يستغرق أكثر من مائة عام ليصل إلى الهدف الذى يتعلق بالماء حسب ما تذكره الجمعية الخيرية البريطانية Water Aid. وهى تقول: إن الدول الثمانى الكبرى تخصص فقط مايقرب من خمسة بالمائة من إجمالى ميزانيات المساعدات فيما وراء البحار لمشروعات المياه، وهو مايقل إلى حد ما عما تنفقه على «الآيس كريم أو الجيلاتى» أو الطعام المفضل.

والأسوأ من ذلك، أن استنزاف وتلوث الموارد الجوفية، بسبب الرى والصرف غير الكفء، سوف يعنى فقدان مايزيد على عشرة بالمائة من إنتاج ◀

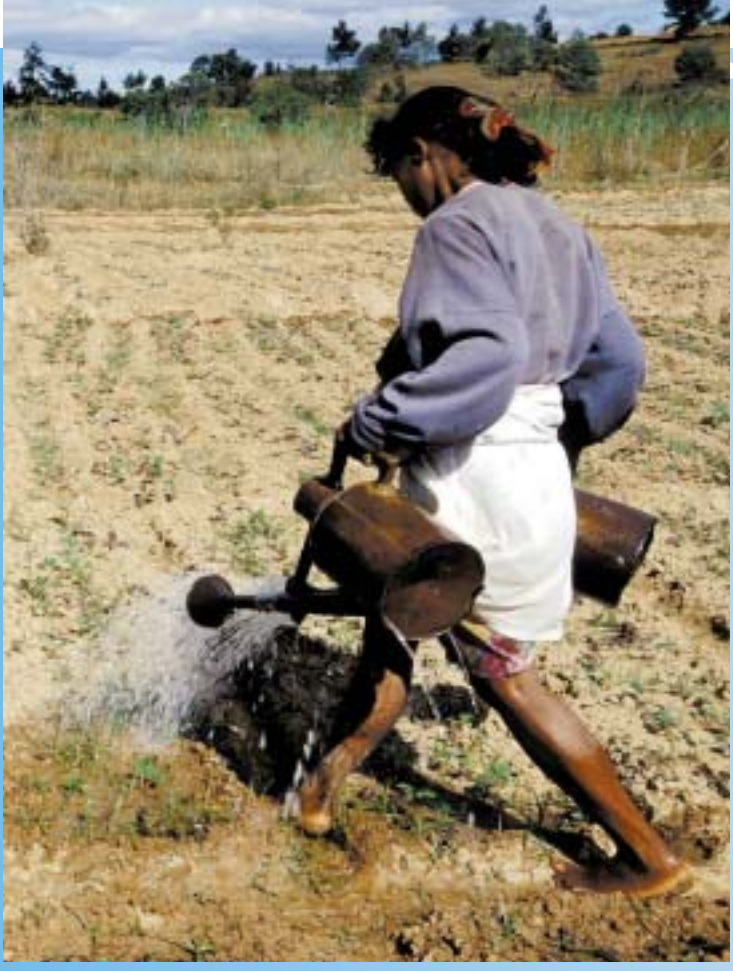

الحبوب فى العالم بحلول عام ٢٠٢٥، وذلك حسب تقديرات التقرير المشترك لمعهد البحوث الدولى لسياسة الغذاء، والمعهد الدولى لإدارة المياه. وهذا مايعادل سنويا فقدان محصول الحبوب بأكمله سنويا فى الهند، أو المحصول السنوى المشترك لإفريقيا جنوبى الصحراء وغرب إفريقيا، وشمال إفريقيا.

ولايعنى هذا أن الحكومات لاتعرف شيئا عن هذه الأخطار، فقد ركزت سلسلة المؤتمرات الدولية على امتداد الأعوام الخمسة والعشرين الماضية على قضايا الماء، وحددت الأهداف، ولكن لم يتحقق أى منها، وهذا مايؤكده التقرير الذى نشرته الأمم المتحدة أخيرا حول تنمية المياه فى العالم تحت عنوان «الماء للجميع .. الماء للحياة».

ويقول التقرير - الذى نشر كمساهمة مهمة للعام الدولى للمياه النقية الذى حددته اليونسكو، وإدارة الأمم المتحدة للشؤون الاقتصادية والاجتماعية: «إن مشكلات السلوك والمواقف تكمن فى لب الأزمة».

وبعد نشر التقرير، وهو مبادرة من برنامج الأمم المتحدة لتقديرات المياه فى العالم، لايكون بمقدور أى رئيس حكومة أن يدعى تجاهله للأزمة، فقد أسهمت ثلاث وعشرون وكالة تابعة للأمم المتحدة فى التقرير، الذى يضم إحصائيات دقيقة، ويزخر بالمقترحات حول كيفية معالجة الأزمة.

وينظر الجميع إلى عدم إتاحة المياه النقية والرعاية الصحية، على أنه انتهاك لحقوق الإنسان، وإهانة للكرامة البشرية. ويؤكد التقرير الأثر المأساوى للأزمة على «الحيوات اليومية للناس الفقراء، الذين نكبوا بعبء الأمراض ذات الصلة بالماء، والذين يعيشون فى بيئات متفسخة، وغالبا ماتكون خطيرة، ويناضلون من أجل أن يحصلوا على تعليم ما لأطفالهم، ويكسبوا عيشهم، ويكون لديهم مايكفى للطعام». والمسألة تتعلق أيضا بالإنصاف. فالطفل الذى يولد فى الدول المتقدمة يستهلك من الموارد المائية أكثر من الطفل الذى يولد فى الدول الفقيرة بما يتراوح مابين ثلاثين وخمسين مرة.

ويذكر التقرير: «إن الأزمة تتعرض لها أيضا البيئة الطبيعية، التى تئن تحت وطأة جبال المخلفات التى تلقى عليها يوميا، ومن الإفراط فى الاستخدام، وإساءة الاستخدام، مع قليل من الاهتمام، على مايبدو، بما سوف يحدث من نتائج، أو بالأجيال المقبلة».

وهذا التحقيق الخاص يبحث بعض القضايا المهمة التى تتعلق بالأزمة:

- من الذى يجب أن يشرف على منافذ المياه - السلطات العامة، أم الهيئات الخاصة؟. بالإضافة إلى نظرة إلى برنامج خصخصة المياه الذى تعرضه الأرجنتين.
- هل يمكن تجنب الصراع حول الماء؟. إن التجربة فى حوض نهر النيل تقول إن ذلك ممكن.
- التأكد من أن الأراضى الرطبة رصيد بيئى مهم - وربما يكون قد تأخر الوقت لإنقاذ الكثير منها.
- أهى حالة من الأولويات التى ليست فى محلها؟. إن جمهورية كازاخستان تتمتع بوفرة فى البترول، ولكنها تعانى واحدة من أسوأ الأزمات فى العالم بالنسبة للمياه العذبة.
- مشروع إسبانيا، الذى يثور حوله الجدل، فى شأن تحويل الموارد من حوض نهر «ايبرو Ebro».
- إلى أى درجة من الاهتمام يجب أن نكون عليها فيما يتعلق بتلوث مياهنا فوق الأرض؟.

خصخصة المنافذ المائية

حقوق الإنسان وهوامش

إن إتاحة الماء، وتيسير الحصول عليه، هو فى الوقت نفسه حاجة أساسية، وحق جوهرى، وسوق مربحة جدا. ومن هنا كانت المناقشة حول الحاجة إلى تنظيم هذه المشكلة

«إن اختبار تقدمنا لايكمن فيما إذا كنا نضيف المزيد إلى وفرة هؤلاء الذين لديهم الكثير، ولكن يكمن فيما إذا كنا نستطيع أن نقدم مايكفى لهؤلاء الذين لديهم القليل».
«فرانكلين ديلانو روزفلت»

هناك وجهة نظر تقول: إن بضع شركات متعددة الجنسيات قد استشرت سيطرتها على موارد مياه العالم بمساندة من البنك الدولى.

ومع ذلك، فالواقع اليوم يشى بأن الشركات الخاصة لاتزال مشاركتها محدودة نسبيا في قطاع المياه، بالرغم من إمكانيات التوسع الهائلة فى هذا القطاع. فالشركات الدولية تساهم بأقل من ١٥ بالمائة من تكلفة تمويل مشروعات المياه والوسائل الصحية، وهى تقريبا نفس النسبة التى تسهم بها الجهات الدولية المانحة للمعونة.

وطبقا لتقرير أصدره مؤخرا «المجلس العالمى لتمويل البنية التحتية للمياه» برئاسة ميشيل كاميديسوس Michel Camdessus فإن «قطاع المياه هو الأقل جاذبية لمستثمرى القطاع الخاص»، ويتجه الاستثمار الخاص نحو التوقف عن العمل فى هذا المجال، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى الأزمة التى تمر بها الأرجنتين.

ويقول مارك و. روزجرانت ـ أحد كبار الباحثين فى معهد أبحاث سياسات الغذاء العالمية ـ لقد بدأنا

الربح

الرى: كيف يتم فى مدغشقر (أعلى)، وفي الحقول التى يصيبها الجفاف على حدود كاليفورنيا/أوريجون بالولايات المتحدة

فى الابتعاد عن نمط الخصخصة التامة فى المناطق الحضرية، فالقطاع العام قد يدار بنفس كفاءة إدارة نظام القطاع الخاص، أو أفضل منه، وهذا هو النظام السائد فى الولايات المتحدة، وفى كثير من أنحاء أوروبا. فالقضية تتعلق بالجهة التى تستطيع أن تحصل منها على التمويل، وعلى قدرة المدن الضخمة على أن تنفذ إلى أسواق رأس المال». ◄

بيد أنه من المتوقع أن تزداد مشاركة القطاع الخاص فى مشروعات المياه بشكل سريع لو تم تطبيق قواعد التجارة العالمية على الخدمات. وكثير من الضجة التى تثار حول الخصخصة لاتأتى من قبل الدول النامية بقدر ماتأتى من الولايات المتحدة التى تخشى سيطرة الشركات الأجنبية على أنظمة مياهها التى تديرها حاليا السلطات المحلية.

وقليل من القضايا تستطيع أن تثير مثل هذا الجدل الشديد، ومنها قضية الاتجار فى خدمات المياه، وجعل الناس تدفع، أحيانا فوق قدر استطاعتها، مقابل أحد أساسيات الحياة. ويعتقد الكثيرون أنه من الخطأ السماح للشركات الخاصة ـ التى يتجه التزامها الأول نحو حملة أسهمها، وليس نحو النفع العام ـ بأن تحقق أرباحا من إحدى الضرورات الإنسانية الأساسية.

إن المجتمعات الإسلامية تعتبر الماء هبة من الله، ويرى يواكيم فون براون Joachim Von Braun ـ مدير عام معهد أبحاث سياسات الغذاء العالمية ـ أن «هذا يفرض صعوبات جمة على تبنى كل ما من شأنه ضمان الفاعلية، وتغطية النفقات».

وهو يقول: «فى بعض البلدان يمتنع استخدام تعبير «سعر الماء». وفى مصر لم يكن مسموحا باستخدام مثل هذه التعبيرات فى التقارير الحكومية حتى وقت قريب».

والأمم المتحدة تقول الآن بشكل واضح: إن الحصول على المياه الآمنة حق من حقوق الإنسان الأساسية، ومعظم الشعوب تراه من هذه الزاوية بلاشك. ولكن هل يجب أن يكون كل حق مجانيا؟. لقد أشار إسماعيل سراج الدين، رئيس مجلس إدارة «اللجنة العالمية للمياه فى القرن الحادى والعشرين» إلى أن الغذاء هو أيضا حق من حقوق الإنسان، غير أن وجوب توفير الغذاء بدون مقابل لم يقل به إلا القليلون.

والحقيقة أن دعم الماء ربما يكون أحد الأسباب التى أدت إلى ندرته فى بعض بقاع العالم. فالناس تميل إلى تبديد الشىء إن لم تعرف له قيمته. ويقول بعض الخبراء إنه يجب أن يكون هناك تمييز أدق بين المياه المستخدمة فى الشرب وأغراض النظافة العامة، وتلك المستخدمة فى الزراعة والصناعة، والتى تمثل أكثر من ٩٠ بالمائة من إجمالى استهلاك المياه.

لقد أعلنت الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة التزامها بتقليص نسبة من لايحصلون على مياه آمنة، أو حد أدنى من الوسائل الصحية إلى النصف فى خلال الاثنى عشر عاما القادمة، وهو هدف مروع إن لم يكن خياليا، سيتطلب مئات البلايين من الدولارات كاستثمارات جديدة تضاف إلى الأموال اللازمة لصيانة وإصلاح البنية التحتية المتهالكة لأنظمة المياه القائمة. ومع ذلك فقد انخفضت المعونات المخصصة لمشروعات المياه فى السنوات الأخيرة، وهى على أية حال لاتذهب إلى البلدان الأكثر احتياجا لها، وكذلك الحال أيضا بالنسبة لاستثمارات القطاع الخاص. فقد ذكر تقرير التنمية البشرية الذى أصدره «برنامج الأمم المتحدة للتنمية» لسنة ٢٠٠٢: إن هناك ٦٠ دولة يعانى خمس سكانها، وأحيانا أكثر بكثير من الخمس، من عدم وجود حتى صنبور مياه عمومى، أو بئر ماء آمن. وكثير من تلك البلدان تعتبر أماكن لن تفكر أية شركة، تعى ماتفعل، فى الاستثمار فيها.

قطاع يوصم بالكارثة

وطبقا «لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية»، تتلقى الدول الأقل تقدما، والتى تعيش فيها نسبة كبيرة من السكان الذين يفتقرون إلى الماء الآمن، جزءا ضئيلا ـ نحو ١٢ بالمائة ـ من المعونة الخارجية المخصصة لقطاع المياه. ونصف المعونة يذهب إلى دول متقدمة نسبيا، منها مصر، والمكسيك، وماليزيا، والصين، والهند.

ويقول تقرير كامديسوس : «من المستحيل أن

الإطلال على موقع بناء سد ٣ جورج على نهر يانجستى بالقرب من يتشانج بالصين.

«مشاركة القطاع الخاص قد تأخذ عدة أشكال»

نتغافل عن استنتاج أن قطاع المياه العالمى، بأشكاله المتعددة، يعانى وضعا أقرب إلى الكارثة. فالمياه لاتتم تنميتها والمحافظة عليها بشكل فعال، والبنية التحتية المادية متخلفة بمراحل عن المستوى المطلوب، وإدارة هذا القطاع غير فعالة، والخدمات تتدهور، ويزداد العجز. ويرتبط بذلك أيضا النقص فى الخدمات التمويلية الموجهة لهذا القطاع. والواقع أن الوضع الحالى كان يزداد سوءا خلال السنوات القليلة الماضية، ولايوجد مؤشر على أنه يوفر التمويل اللازم للوصول للمعايير المستقبلية للخدمات.

ومن المفهوم، فى ضوء هذا الوضع، أن تنظر الحكومات، ومنظمات الإقراض الدولية، إلى الشركات الخاصة ـ بما يتوفر لها من خبرات، وقدرة على دخول أسواق رأس المال، وعلى تخطى الحدود القومية ـ باعتبارها شريكا محتملا. لقد جعل البنك الدولى من مشاركة القطاع الخاص شرطا فى العديد من قروضه. بيد أن هذا يعكس مدى اليأس من عدم قدرة الأجهزة الحكومية على القيام بالعمل، وكذلك إدراك كل مؤسسات الإقراض، بما فيها البنوك الخاصة، أن نجاح كل الاستثمارات الصناعية والزراعية تقريبا يتوقف على التأكد من وجود مورد مائى آمن.

بيد أن قطاع المياه يعج بالفساد، وكما يشير تقرير كامديسوس، فإن العديد من وكالات الرى، وإدارات المياه «تعانى بشدة من العمالة الزائدة الناجمة عن محاولة مضللة لخلق فرص عمل».

وقد ورد فى تقرير معهد «ورلد واتش» الأخير عن حالة العالم» أنه بعد قمة العالم حول التنمية المستدامة التى عقدت فى جوهانسبرج العام الماضى «يبدو أنه من المتوقع أن النمو الاقتصادى المستدام سوف ينبع من اتحاد جهود قطاع الأعمال، وجماعات المواطنين، والحكومات المحلية».

وتقول الصناعة، ممثلة فى «مجلس الأعمال العالمى للتنمية المستدامة»: إنها مستعدة للدخول فى مفاوضات مع كل الأطراف المعنية «للوصول إلى مناطق اتفاق واختبار تلك الأفكار على الأرض».

وتقول: إنها تقوم فى الوقت الحالى باستعراض المشكلات ـ وهو مايعتبر مثالا على اللغو الإدارى، والافتقار للشفافية الذى يفضى إلى توجس الكثير من الشركات الكبرى ـ ولكنها سوف تقيم قريبا «مشاركات مع من لديه الإرادة والقدرة» من خلال «الحوارات بين مختلف الأطراف المعنية»، وإنها «ستعد خريطة طريق» حول كيفية إيجاد إدارة محلية مناسبة.

ويمكن أن تأخذ مشاركة القطاع الخاص أشكالا عديدة، منها الترتيبات المالية بين الشركات، والحكومات، والسلطات المحلية، لتحقيق مافشلت فى تحقيقه من تنمية معونات التنمية ذاتها. فمرافق المياه فى بريطانيا مملوكة بالكامل لشركات خاصة، وفى فرنسا تدير الشركات تلك المرافق فى إطار امتيازات طويلة الأجل. وكثير من الإدارات المحلية تفضل الاحتفاظ بالملكية الكاملة والرقابة، ولكنها تستخدم شركات خاصة لإدارة موارد المياه مقابل أجر معين.

وطبقا لدراسة حديثة «لمنظمة التعاون ◄

«تنظيف مصرف بورت ـ أو ـ برنس فى هايتى

الاقتصادى والتنمية» فإن «الخدمات المائية، سواء وفرها القطاع العام أو الخاص (أو الاثنان معا)، فمن المهم أن يستمر الوفاء بتحقيق الأهداف الاجتماعية والبيئية». وتضيف الدراسة: إن «المستهلك الفقير ينبغى ألا يدفع فى مقابل الخدمات المائية، نسبة مما تبقى من دخله، تفوق بكثير تلك التى يدفعها المستهلك الموسر».

ويتضح بشكل متزايد أن نجاح أى مشروع مائى يتوقف على مشاركة المواطنين. وفى ذلك ذكر تقرير وضعه «مركز كمبريدج للسياسات الاقتصادية» حول تمويل أهداف جوهانسبرج أن «المجتمعات المحلية يجب أن تشارك بنشاط فى اتخاذ القرارات التى توازن بين المعايير، والتكلفة، والقدرة على تحمل التكاليف».

ويرى السيد فون براون من «معهد أبحاث سياسات الغذاء العالمية» أن «الحل لمشكلة تسعير المياه هو وجود مؤسسات فعالة تضم جمعيات المستخدمين، وتستطيع أن تتفاوض مع الهيئات الأعلى».

ويضيف: «إن السعر ليس هو الذى يتحكم فى الطلب على مياه الشرب، ولكنها القدرة على التعبير السياسى. ففى بعض مناطق العالم أصبح الفقراء أكثر قدرة على التعبير من خلال اللامركزية، والتفويض، والمزيد من الديمقراطية، وتحتل المياه النقية قمة خططهم كمواطنين، ومياه الرى قمتها كمزارعين».

إن العالم ملىء بمواقع أدى إنشاء السدود الضخمة بها، ومشروعات البنية التحتية فيها، إلى ترحيل السكان، وأقحم عليها مفهوم سوق المياه رغما عن سكانها، ودمرت فيها المواقع ذات الأهمية الثقافية والدينية. كل ذلك يوضح الحاجة إلى إشراك السكان المدنيين، والمنظمات غير الحكومية، فى عمليات التخطيط.

إن الافتقار إلى مشاركة الجماهير هو السبب فى وصول العديد من الاتفاقيات الخاصة، والمشاركات بين القطاعين العام والخاص فى مشروعات المياه إلى نتائج غير مرضية. ولو نظر إلى الشركات عادة على أنها بعيدة عن الواقع ومتعجرفة، فهى التى جلبت على نفسها تلك النظرة بتوقيعها لاتفاقيات غير شفافة مع حكومات فاسدة، أو غير ديمقراطية، وإنفاقها مبالغ ضخمة على استمالة المؤيدين، وإنفاقها مرتبات ضخمة على موظفيها التنفيذيين، وعدم التزامها بالمعايير، ووعودها بما لاتستطيع أن تقدم، وفرضها رسوما أعلى من قدرات الفقراء، وتسريحها للعمال. لقد أظهرت «دراسة جالوب الألفية الدولية» سنة ١٩٩٩ أن هناك تشكيكا كبيرا فى سلوك الشركات الكبرى، وازدراء لافتقارها الملحوظ للمسؤولية الاجتماعية.

لقد ذكر تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية حول التنمية البشرية لسنة ٢٠٠٢ «أن تبرعات الشركات الكبرى، واستمالتها لجماعات ضغط، عادة ما تطغى على أصوات العمال، والمستهلكين، والنساء، وأنصار البيئة، وجماعات المواطنين، وأصحاب المصالح الأخرى». ويضيف التقرير: «إن حالات مثل خصخصة موارد المياه فى كوشابامبا فى بوليفيا، والتى أدت إلى إضراب عام، وأعمال شغب، وفرض الأحكام العرفية قبل طرد الشركة الأمريكية، هى مثال على أن «اهتمامات السكان المحليين، والمثقفين، وأنصار البيئة، والجماعات الأخرى، عادة مايتم تجاهلها حتى تتطور إلى احتجاجات ومواجهات كبرى».

لقد كانت شركة إنرون تستثمر مبالغ ضخمة فى الأعمال الدولية الخاصة بالمياه حتى انهارت تحت وطأة الديون السرية. وشركة «فيفندى» الفرنسية، أكبر الشركات العاملة فى هذا القطاع، والتى غيرت اسم قسم المياه والصرف فيها مؤخرا ليصبح «فيوليا للبيئة Veolia Environment»، تبدو منشغلة بامبراطوريتها الإعلامية والترفيهية بشكل أكبر بكثير من انشغالها بأعمال توفير المياه النقية للفقراء، التى تعتبر عملا أقل بريقا.

السيطرة على الشركات

لقد أجريت دراسة تفصيلية على بعض مواطن فشل الشركات، تحت عنوان "The water Barons"، أى «بارونات المياه»، وهو تحقيق فى أعمال القطاع الخاص فى المياه، استغرق عاما كاملا، وأجراه المنتدى الدولى لصحافيى التحقيقات. كذلك يقول تقرير كاميديسوس - الذى يعتبر قراءة متعمقة فى هذا الموضوع لم تهمل مشكلة الفساد - إن معظم أعمال القطاع الخاص «أحرزت تقدما حقيقيا فيما يتعلق بالكفاءة، كما أنها وفرت الخدمة بسعر مقبول فى أحياء الفقراء عندما طلبت منها السلطات ذلك فى إطار تعاقداتها». بيد أن تلك الحالات بالطبع لم تكن لتتصدر أخبار الصحف.

ويبدو أن مكمن الخطأ يتمثل فى توقعنا أن تنتهج الشركات الرأسمالية أسلوبا غير رأسمالى. وأيا كان مستوى تحمل المسؤولية الذى تدير به الشركات أعمالها، فضمان توفير الخدمات العامة للجميع على أساس عادل، وليس بناء على قدرة كل فرد على دفع قيمة الخدمة، وضمان احترام الموارد الطبيعية، يقع على عاتق السلطات الحكومية.

ولذلك طالبت العديد من المنظمات التى تمثل مصالح العالم النامى بإيجاد تشريعات دولية رسمية تحكم عمل الشركات متعددة الجنسيات، وهى فكرة عارضتها بقوة وبنجاح أيضا مجموعة الضغط الخاصة بالأعمال فى قمة جوهانسبرج. واحتجت فى ذلك بكفاية الرقابة الذاتية لتلك الشركات.

ومع ذلك، فتقرير كاميديسوس يؤكد ضرورة وجود تشريعات على المستوى الدولى تجعل وكالات المياه فى متناول الحكومات، وتجعلها مسؤولة أمام الجمهور.

يمينا: ملء الأوانى بالمياه من صنبور القرية فى تاميل نادو بالهند. أعلى: صناديق المياه المعبأة تغادر المصنع فى تنزانيا

ويضيف التقرير: إن هناك «للأسف نماذج قليلة لمشرعى المياه ذوى الخبرة فى الدول المتنامية. فمعظمهم حديثو عهد بهذا المجال، وضعفاء، وعرضة للضغوط الحكومية التى تحاول فى عناء أن تتواءم مع تأثيرات الاقتصاد الجزئى على الامتيازات المهمة. وعندما يغيب التشريع أو يضعف، تغيب معه ثقة الشركات، والحكومات، والجمهور فى العمليات الجارية، فيعانى الاستثمار من جراء ذلك».

ومع هذا الضعف الشديد للمشرعين تتوفر وتستديم أسباب الظلم وعدم العدالة التى يلام عليها فى العادة القائمون على القطاع الخاص. وقد لاحظ تقرير «مركز كمبريدج للسياسات الاقتصادية» أن «خدمات المياه تقدم إلى الموسرين بأسعار مدعومة دعما كبيرا، فى حين لايجد الفقير تلك الخدمات على الإطلاق. وبالرغم من حث الجهات المانحة المتكرر على رفع الرسوم المفروضة على القادرين - لتوفير موارد إضافية يمكن استخدامها فى تمويل حصول الفقير على الخدمة الأساسية - يبقى هذا الوضع غير المسؤول سائدا فى معظم البلدان النامية».

والسبب فى ذلك معروف. فالفقير لايملك حتى الخرقة البالية، والسياسى الذى يتخذ القرار فى فرض الرسوم يتردد كثيرا فى رفع الأسعار أو الضرائب المفروضة على مؤيديه الأكثر تأثيرا. والواقع أن الأكثر ثراء وسلطة، وليس الفقراء، هم الذين يعارضون مشاركة القطاع الخاص فى هذا المجال، مخافة أن يؤدى ذلك إلى ضعف سطوتهم.

يقول إسماعيل سراج الدين: إنه من «الحمق» أن ندافع عن دعم الأسعار باسم الفقراء عندما يكون هؤلاء الفقراء محرومين من الحصول على الخدمات العامة، ويضطرون لشراء مياه مشكوك فى نوعيتها من الباعة فى الشوارع بعشرة أضعاف أو عشرين ضعفا من سعرها لو تم مد مرافق المياه إليهم.

وبالرغم من أن توصيل المياه عن طريق حملها فى عربات، أو على ظهور البشر، ليست بالطريقة الفعالة لتوفير خدمات المياه، إلا أنها، مع الأسف، هى الطريقة الوحيدة فى المناطق الفقيرة، وفى العالم النامى الذى ليس له من أمل فى مد خدمات المياه عن طريق الأنابيب. ولكن، على عكس الرأى السائد، فقد أظهرت دراسة أجراها البنك الآسيوى للتنمية على صغار ◄

مقدمى خدمات المياه فى ثمانى مدن، أن شركاته فى العادة شركات عائلية، مندمجة تماما فى المجتمع، وتقدم خدمات جيدة للفقراء بأسعار تنافسية.

وقد أوصت الدراسة، فى ضوء بطء معدلات التوسع فى مرافق المياه حاليا، بأن يتم تقنين وضع مقدمى الخدمات هؤلاء، وتحسين بيئة عملهم، لتمكينهم من زيادة قدراتهم الخدمية، وتوفيرها بأسعار أقل.

ويخشى مناهضو العولمة من أن يؤدى فتح السوق أمام خدمات المياه، فى وقت تتزايد فيه ندرة هذه السلعة، إلى تكالب الشركات عليها، كما حدث مع الذهب فى القرن الماضى. بل وذهبوا إلى أن المياه سوف تخزن وتشحن حول العالم، تماما كما يحدث مع النفط الآن.

وترى مود بارلو Maude Barlow، إحدى نشطاء مناهضة العولمة، أنه لو قدر لنظام المضاربة المفتوحة فى الماء هذا أن يرى النور، فستكون البيئة والمستقبل أكبر الخاسرين. وقد لاحظت بارلو فى كتابها "Blue Gold" (أى الذهب الأزرق) أنه:

«فى كل الجدل الذى ثار حول الخصخصة والتسعير، لم يتطرق الحديث إلا قليلا إلى الطبيعة والأنواع الأخرى. ومرد ذلك أن البيئة لم تدخل فى المعادلة التجارية. ولو فقدنا السيطرة الحكومية على نظمنا المائية، فلن يبقى على وجه الأرض أحد ليطالب للأرض بهذا المصدر الواهب للحياة.

بارى جيمس

النمـــوذج الأرجنتينى بعـد أن كان مثـــــالا

كان الجميع يغبطون الأرجنتين لبيعها شركات المياه العامة إلى مؤسسات أجنبية. والآن، تعيد البلاد التفكير فى هذا الأمر.

تستطيع أن تصف وضع المياه فى الأرجنتين الآن إلا بأنه فى وفرة طاغية. فالسهول العشبية المترامية الأطراف، والممتدة من بوينس آيرس لمسافات شاسعة، تغطيها الآن بحيرات ضحلة واسعة كونتها الأمطار الغزيرة، فى غياب نظم الصرف القادرة على تصريف المياه الزائدة إلى الأنهار. وحتى فى المناطق التى انحسر عنها الفيضان ارتفع منسوب المياه الجوفية إلى بضع سنتيمترات من سطح الأرض. وبالرغم من أن الوكالات الدولية قدمت الأموال للتعامل مع مشكلة الفيضان المتكررة، إلا أن مساحات كبيرة من سهول «البمب» ظلت مغطاة بالمياه لسنوات طويلة، ولم يجف سوى المال.

وقد ضرب إقليم «سانتافى» الشمالى الأوسط فى وقت سابق من هذا العام بأسوأ فيضان يشهده منذ قرون، نجمت عنه خسائر بشرية ومادية فادحة. وقد أنحى علماء المياه باللائمة على الافتقار للتخطيط، واللامبالاة، والفساد فى التعامل مع مشكلات الطبيعة على المستوى الإقليمى. وأخيرا، هناك فيضانات كريهة الرائحة تغمر الأحياء المنخفضة حول بوينس آيرس، حيث تغمر مياه الأمطار الأدوار الأرضية، وأحواض الصرف، ولاتصلح مياه الشرب، فى معظم الأحيان، للاستهلاك الآدمى.

وقد كتب خوليو أرييتا، المخرج والكاتب، سيناريو فيلم تدور أحداثه حول احتلال كائنات من الفضاء لكوكب الأرض. وقد سارت غزوتهم على مايرام حتى وصلوا إلى بوينس آيرس حيث قدم لهم سكان حى «باراكاس» بعض الماء حتى ينتعشوا، فمات الغزاة، وكذلك التعزيزات التى أرسلت للبحث عنهم، وأنقذت الأرض.

وليس من المستغرب، والوضع كذلك، أن تثير خصخصة خدمات المياه فى الأرجنتين آراء متضاربة. فعندما تولى كارلوس منعم الرئاسة سنة ١٩٨٩ ورث دولة خربة اقتصاديا، حيث كان التضخم آنذاك قد وصل

يتداعى، يحتذى على مستوى العالم

يمينا: منازل غمرتها مياه الفيضان فى «سانتافى» بالأرجنتين فى مايو/أيار الماضى. أعلى: متطوعون يفرغون حمولة المياه العذبة لضحايا الفيضان. وقد أجلى الآلاف عن مساكنهم.

إلى ٥٠٠٠٪ سنويا، وكانت كل الخدمات العامة وشبكات المرافق شبه منهارة تماما. وقد قام منعم بخصخصة مرفق المياه فى بوينس آيرس سنة ١٩٩٣ تحت ضغط من البنك وصندوق النقد الدوليين، والولايات المتحدة.

وقد منحت الحكومة امتيـازا لمدة ٣٠ سنة «لأجواس أرجنتيناس»، وهو اتحاد شركات تتزعمه Lyonnaise des Eaux (فيفندى فيما بعد، والآن فواليا للبيئة) لإدارة مرفق المياه فى ١٧ حيا بالعاصمة. وقد حصل هذا الاتحاد على الامتياز بدون مقابل، ولكنه وعد بتخفيض أسعار المياه، والتوسع فى الخدمات. وهذه المجموعة نفسها تدير خدمات المياه أيضا فى «سانتافى».

لقد كانت المياه هى آخر ما تم بيعه للقطاع الخاص من مرافق، وبالرغم من ادعاءات الفساد فى هذا القطاع، إلا أن الإعلان عن قبول العطاءات فى هذا القطاع لايزال ينظر إليه على أنه قد تم بشكل مرض على حد كبير، حتى أن البنك الدولى كان يروج لخصخصة المياه فى الأرجنتين على أنها النموذج الذى يجب أن يحتذى فى بقية أنحاء العالم.

وقد أنشأت أجواس أرجنتيناس نظام إصدار فواتير، استطاع أن يصل، لأول مرة، إلى معظم المستهلكين، كما وفرت المياه لمليونين من السكان لم تكن الخدمات تصل إليهم من قبل، بيد أن تنفيذ الصرف الصحى كان يسير بمعدلات أبطأ. ثم جاءت الأزمة الاقتصادية الحالية لتوقف خطط التوسع فى الخدمات فى المستقبل المنظور.

وقد قام الاتحاد بتخفيض أسعار المياه بمجرد حصوله على الامتياز، ولكنه عاد فرفعها أكثر من مرة بعد ذلك، وقد حقق بالفعل أرباحا كبيرة. وكان «البيسو» يساوى دولارا واحدا عند حصول الاتحاد على الامتياز الأصلى، ثم أصبح الدولار يساوى أكثر من ثلاثة بيسو، مما حدا بكل الخدمات التى تمت خصخصتها إلى إبداء الرغبة فى رفع أسعار خدماتها من جديد. على أن الرئيس الجديد، نستور كيرشنر، يقاوم ذلك الاتجاه، حيث إن الكثير من الأرجنتينيين يكافحون من أجل البقاء على قيد الحياة فقط، فى ظل البؤس الذى خلفه الانهيار الاقتصادى.

وتقول الشركات: إن دخلها لم يعد يكفى سوى لدفع المرتبات، والحفاظ على الاستثمارات الأساسية، بينما يتهم الجمهور أجواس أرجنتيناس بالفشل فى معالجة المياه والحفاظ على البيئة.

وفى هذه الأثناء، تجرى محاكمة ماريا جوليا ألسوجارای Maria Julia Alsogaray بتهمة الكسب غير المشروع أثناء الخدمة الحكومية، وكانت قد أوكل إليها قيادة التطهير البيئى فى الأنهار التى تصب فى ـ وحول ـ بوينس آيرس، فسمحت لأجواس أرجنتيناس برفع الأسعار أكثر من مرة.

ومع ذلك، فالمشكلات التى تعانى منها بوينس آيرس، تتضاءل أمام تلك التى تعانى منها مناطق أخرى فى البلاد.

ويتعلق مايطلق عليه «العقد الشائن» بإقليم بوينس آيرس و«آزوريكس» فى بوينس آيرس، وهى إحدى فروع «إنرون». فقد عرضت «آزوريكس» ٣٠٠ مليون دولار لتحصل على الامتياز، وهو مايزيد بمائة مليون دولار على أى من منافسيها، ولكنها فشلت فشلا ذريعا فى تقديم خدمة مناسبة فى المراكز الكبرى، مثل «باهيا بلانكا»، حيث اضطرت حكومة الإقليم إلى أن تتولى تقديم الخدمة.

وكما حدث فى «كوشابامبا» فى بوليفيا المجاورة، تظاهر أيضا سكان «توكومان»، أصغر مقاطعة أرجنتينية عندما تولت شركة أجنبية مرفق مياه الإقليم، وما تلا ذلك من ارتفاع كبير فى الأسعار. وقد انسحبت شركة «أجواس ديل أكونكويجا» الفرنسية من الاتفاق بعد أن توقف المستهلكون عن دفع الفواتير، لتواجه مشكلة قانونية دولية، ومستقبلا مجهولا.

وفى أثناء تلك المنازعات كانت الحكومة تجتمع مع شركائها فى «تحالف مركوسور الاقتصادى»، الذى يضم إلى جانبها، أوروجواى، وباراجواى، والبرازيل، للتباحث حول الحفاظ على واحد من أضخم خزانات المياه الصخرية، وهو خزان هائل يغطى مساحة تعادل مساحة فرنسا وإسبانيا والبرتغال مجتمعة، ويقال: إنه يحتوى على كمية مياه تكفى لتغطية احتياجات العالم أجمع لمدة ٢٠٠ سنة.

أندرو جراهام ـ يول ـ من بيونس آيرس

تفادى الصراع فى حوض النيل

بعد أن عاشت دول حوض النيل سنوات من التوتر والتهديد بالحرب، هاهى تجتمع الآن حول مائدة التفاوض ـ بمساعدة اليونسكو.

الايزيد الماء فى حوض النيل اليوم قطرة واحدة عما كان عليه عندما عثر على سيدنا موسى فى أحراش البردى، باستثناء بعض الاختلافات التى تسبب فيها تغير المناخ، ولن يزيد الماء قطرة واحدة أيضا بعد ٢٥ سنة من الآن، عندما يتضاعف عدد السكان الذين يعيشون على امتداد ضفاف أطول نظام نهرى فى العالم، ليصلوا إلى أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة.

إن عدد السكان والضغوط الاقتصادية يتزايدان بسرعة أكبر من قدرة النيل على مد الحضارة بأسباب الحياة. وبالتالى، فالخيارات تضيق أكثر فأكثر لتقتصر على: إما نزاع حول مورد يتزايد ندرة، وإما التعاون لإدارته بشكل أكثر عدالة.

ومن حسن الطالع، أن الدول العشر المشتركة فى حوض النيل يبدو أنها تتجه أخيرا نحو التعاون. وقد يكون ذلك نموذجا يشجع عشرات البلدان التى ستواجه صراعا إن لم تصل إلى اتفاق حول كيفية اقتسام مياه الأنهار التى تجرى عبر حدود دولية.

وفى مقدمة تقرير الأمم المتحدة حول التنمية المائية فى العالم، يقول كوفى عنان، سكرتير عام الأمم المتحدة: «لقد كان الماء عاملا رئيسيا فى قيام وانهيار الحضارات». ودلتا النيل هى أصدق ماينطبق عليه هذا الكلام، حيث خلق بها الغرين الذى يحمله النهر من قلب إفريقيا أساس زراعة منظمة منذ ٥٠٠٠ عام. ومع ذلك، كما يضيف عنان: «فالماء كان مصدر توترات ومنافسة شرسة بين الدول، قد تصل إلى ماهو أسوأ لو استمرت التوجهات الحالية على ماهى عليه».

وتميل الدول إلى البحث عن وسائل التعاون بدلا من الاقتتال حول الماء، كما يشى بذلك نموذج حوض النيل. فهناك خلافات حادة، بل وغير قابلة تاريخيا للحل، تعمل على تقسيم العديد من البلدان التى تقتسم مياه ٢٦١ حوضا للأنهار حول العالم. وفى ذلك تقول لينا سلامة ـ من برنامج اليونسكو لتقييم مياه العالم : «إن عدد الحالات التى شهدت تعاونا متعلقا بالمياه أكبر بكثير من تلك التى نشب فيها الصراع حول المياه».

ويقول «يواكيم فون براون» ـ مدير عام معهد أبحاث سياسات الغذاء الدولى بواشنطن: «أعتقد أن الجنس البشرى أصبح يحترم المياه كشىء شديد الأهمية ثقافيا. فالبئر المسمم أصبح ينظر إليه فى أى مجتمع على أنه شىء مقزز، وهناك ثقافة وتقاليد ترفض سلب مصدر الماء من الآخر، خاصة إن كان ذلك فى مناطق يعز فيها الماء».

وقد درس هذا الموضوع بتفصيل مستفيض «آرون ولف»، و«ساندرا بوستل» ـ الأكاديميان الأمريكيان ـ وتوصلا إلى أنه لم تقم حرب بسبب

شلالات النيل الأزرق فى أثيوبيا

المياه طوال الأربعة آلاف والخمسمائة عام الماضية إلا مرة واحدة فقط، وكان ذلك بين اثنتين من دويلات المدن هما «لجش» و«أوما» فيما يعرف الآن بجنوب العراق. وكان هناك العديد من المناوشات والمنازعات التى كان الماء عاملا فيها، ولكن الباحثين توصلا إلى أن أكثر من ٣٦٠٠ اتفاقية حول المياه وقعت خلال الاثنى عشر قرنا الماضية، ظل العديد منها محترما أثناء حروب نشبت حول قضايا أخرى.

وبعبارة أخرى، فالمياه مشكلة منغصة، وربما خطيرة فى العديد من المناطق، ولكنها ليست بالقاتلة بعد، وهل سيثبت صدق ذلك فى المستقبل مع تزايد الضغط على موارد المياه المحدودة، وخوف الدول من تعرض مصالحها الحيوية، أو حياتها للخطر؟.

ولم تتردد مصر، فى الماضى، فى التهديد باستخدام القوة للحفاظ على حصتها الضخمة من مياه النيل، وبعض قواتها المسلحة مدربة على القتال في الأحراش، فيما يعد استعدادا واضحا منها للقيام بعمليات فى بلدان بعيدة فى الجنوب، حيث منابع النيل الأبيض.

وكان جان لويجندجيك Jan Luijendijk ـ مهندس المياه الهولندى، والخبير فى نظم المعرفة فى معهد UNESCO-IHE التعليمى للمياه فى دلفت بهولندا ـ يشير إلى خريطة للمرتفعات الأثيوبية التى ينبع منها ٨٥ بالمائة من المياه التى تصل إلى مصر عبر النيل الأزرق، وهو يقول: «لو قررت أثيوبيا أن تبنى سدا على أحد هذه الروافد النهرية، فسيعنى ذلك الحرب مع مصر مباشرة. فلا خيار آخر أمام مصر». ويضيف : إن محاولة أى من الدول التسع الأخرى المطلة على حوض النيل استخدام الماء بشكل قد يقلص مايصل منه إلى مصر سوف يؤدى إلى نشوب حرب.

ولتفادى هذا الاحتمال، توصلت الدول المطلة على النهر إلى ماعرف باسم مبادرة حوض النيل (انظر الإطار)، والتى وضعت لتحل محل التهديد بنشوب صراع، وبروح من التعاون. وقد ساهم البروفيسور لويجندجيك فى لمّ شمل مهندسين من الدول العشر المطلة على حوض النيل، على أساس أن الخبراء أكثر قدرة على حل مشاكل المياه من السياسيين.

وقد أنشأت اليونسكو، كمنظمة رائدة لوكالات الأمم المتحدة فى قضايا المياه النقية، فى تلك الأثناء برنامجا عالميا يسمى «من نزاع محتمل إلى تعاون ممكن» بالتعاون مع منظمة الصليب الأخضر الدولية، وهى منظمة بيئية غير ربحية لدراسة «إمكانية أن تكون المشاركة فى الموارد المائية عاملا حافزا على إرساء السلام الإقليمى والتنمية من خلال الحوار، والتعاون، والإدارة المشتركة لأحواض الأنهار».

ولايزال هذا المجال غير مقنن إلى حد بعيد، ◀

مبادرة حوض النيل

فى سنة ١٩٩٩ ظهرت مبادرة حوض النيل التى شاركت فيها الدول الست المشتركة فى البحيرات العظمى ـ بوروندى، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وكينيا، ورواندا، وتنزانيا، وأوغندا ـ وكذلك مصر، والسودان، وأثيوبيا، ثم انضمت إليها إريتريا فى وقت لاحق.

وكان الهدف: حل بعض القضايا الكبرى التى تواجه تلك البلدان، والمتعلقة باقتسام الموارد المائية، بشكل سلمى. وكانت أكثر القضايا إلحاحا: تتمثل فى هل مصر مستعدة لقبول تدفق كميات أقل من مياه النيل إلى أراضيها من أجل إقامة مشروعات اقتصادية فى أعالى النهر؟. وهل يسمح لأثيوبيا أن تستغل جزءا من مواردها من النيل الأزرق لتنمية زراعتها؟.

ومن خلال تلك المبادرة بدأت دول حوض النيل عملية قد تؤدى إلى مراجعة اتفاقية ١٩٥٩ الجائرة، التى تعطى كل مياه النيل تقريبا لمصر، وكذلك للسودان بنسبة أقل.

حيث لايوجد قانون دولى لإدارة الأنظمة المائية، باستثناء ثلاث وثائق أطر غير ملزمة، توفر أطرا استرشادية للدول عند صياغتها لاتفاقيات مائية، كذلك لاتوجد أية آلية لمتابعة أو ضمان تنفيذ العديد من اتفاقيات المياه الثنائية الموقعة بين الدول.

وقد استغلت مصر وضعها كقوة عسكرية وسياسية فى المنطقة، خلال خمسينيات القرن الماضى، لتعيد تفعيل اتفاقية أبرمت فى العهد الاستعمارى، تعطيها سيطرة شبه كاملة على الأنهار التى تمتد فى التواء لمسافة ٦٧٠٠ كم جنوبا حتى قلب إفريقيا، وتصل إلى مرتفعات أثيوبيا وأرتيريا.

وفى عام ١٩٥٩ وقعت مصر اتفاقية معقدة مع الحكام العسكريين للسودان ـ المستقل حديثا ـ من أجل «الاستغلال الكامل لمياه النيل».

ومنذ أن بدأ تنفيذ اتفاقية ١٩٥٩ كانت مصر تحصل على ٥٥,٥ بليون متر مكعب من المياه، من أصل ٨٤ بليون متر مكعب تمر بالخرطوم، فى حين تحصل السودان على ١٨,٥ مليون متر مكعب، وتتسرب ١٠ بلايين متر مكعب وتتبخر من بحيرة ناصر. ومن الغريب أن تلك الاتفاقية كانت ثنائية فقط، واستبعدت كل الدول الأخرى المطلة على النهر، بالرغم من أهمية أثيوبيا مثلا كمصدر لمعظم هذا الماء.

وقد خلّف انتهاء الشيوعية والحرب الأهلية فى أثيوبيا، أمة يزيد تعدادها على ٦٠ مليون نسمة، انطلقت فى طريق التنمية الاقتصادية والزيادة السكانية السريعة. وبعد سلسلة من موجات الجفاف المدمرة تأكدت الحاجة لتحقيق أمن غذائى، يمكن تحقيقه من خلال رى المرتفعات الأثيوبية، وتحاشى جرف مياه الأمطار الغزيرة لملايين الأطنان من سطح التربة.

وتصر أثيوبيا على أن لها كل الحق فى تنمية مواردها الطبيعية. وقد لامت مصر بشدة لبنائها السد العالى حتى دون أن تستشيرها، وكذلك لحصولها على نصيب الأسد من موارد النهر. وقد أشارت ورقة سياسية أثيوبية سنة ١٩٩٧ إلى أن «الظلم الفادح السائد فى حوض النيل لايمكن أن يستمر». والعامل الوحيد الذى يمنع أثيوبيا من إيجاد رى زراعى على نطاق واسع هو التهديد بالعمليات العسكرية الذى قد تعتبره مصر دفاعا عن النفس. وعندما استجلبت أثيوبيا مهندسى مياه إسرائيليين سنة ١٩٨٩ لدراسة مواردها المائية، تلقت تحذيرا شديد اللهجة من القاهرة.

إن لمطالبة أثيوبيا باستخدام المياه التى تنبع في أراضيها سوابق تاريخية ودولية. فخلال النزاع على المياه الذى وقع بين الولايات المتحدة والمكسيك فى أواخر القرن التاسع عشر، أعلن المحامى العام الأمريكى «جودسون هارمون» أن لبلاده السيادة الكاملة على القسم الذى يجرى في أراضيها من نهر «ريو جراند»، وليس عليها أى التزام باقتسامه.

إقامة قناة جونجلى فى جنوب السودان عرقلتها الحرب. يسارا: نهر النيل فى أسوان، مصر.

كذلك فقد انتهجت تركيا، مؤخرا، نهجا شبيها بما يسمى «مبدأ هارمون» لتبرير بنائها لسدود على نهر الفرات على الرغم من تضرر جاريها اللذين يصب النهر بأراضيهما، وهما سوريا والعراق. وقد أعلن الرئيس التركى السابق سليمان ديميريل أن تلك الدول ليس لها من حق فى المطالبة بالمياه التركية أكثر من حق تركيا فى المطالبة ببترولها (أى بترول هذه الدول).

ولكن لو طبق قانون «من يجد شيئا يحتفظ به» هذا على حوض النيل، فلن يكون هناك محل للسؤال عن: لماذا خلق الله مصر؟. كما يقول البروفيسور لويجندجيك، والذى يضيف: «لم يكن من الممكن أن يكون لديها مياه أكثر إلا لو حصلت عليها من مكان آخر، وليس هناك مكان آخر».

مستعمرات صحراوية جديدة

باستثناء كميات قليلة من مياه الأمطار، والمياه الجوفية، تحصل مصر على كل احتياجاتها من المياه النقية للزراعة والصناعة والاستخدامات المنزلية من النيل. وهى تستهلك كل حصتها البالغة ٥٥,٥ بليون متر مكعب، وكثيرا ماتجور أيضا على حصة السودان. وهى تقيم الآن مستعمرات صحراوية جديدة لتسكين من ضاقت بهم ضفاف النيل، معتمدة فى ذلك على تحويل جزء من مواردها، وإعادة تحلية مياه الصرف بشكل أكثر كفاءة.

وتمثل أحد الأفكار المصرية للحصول على المزيد من المياه فى مساعدة السودان على بناء قناة جونجلى بطول ٣٦٠ كم عبر مديرية أعالى النيل، وهى أضخم منطقة مستنقعات فى العالم. ويستغرق مرور النيل الأبيض فى التواءاته عبر تلك المنطقة نحو عام، مما يؤدى إلى فقد نصف مياهه نتيجة البخر. ويقول المهندسون المصريون: إن من شأن تلك القناة أن تحافظ على الكثير من المياه التى تتبخر، وتوفر مايقرب من خمسة بلايين متر مكعب يمكن اقتسامها بالتساوى بين السودان ومصر.

وقد كان ذلك قبل أن نعرف الكثير عن القيمة البيئية للمستنقعات (انظر الصفحة التالية)، إذ صمم مشروع القناة فى الأصل حكام الاستعمار

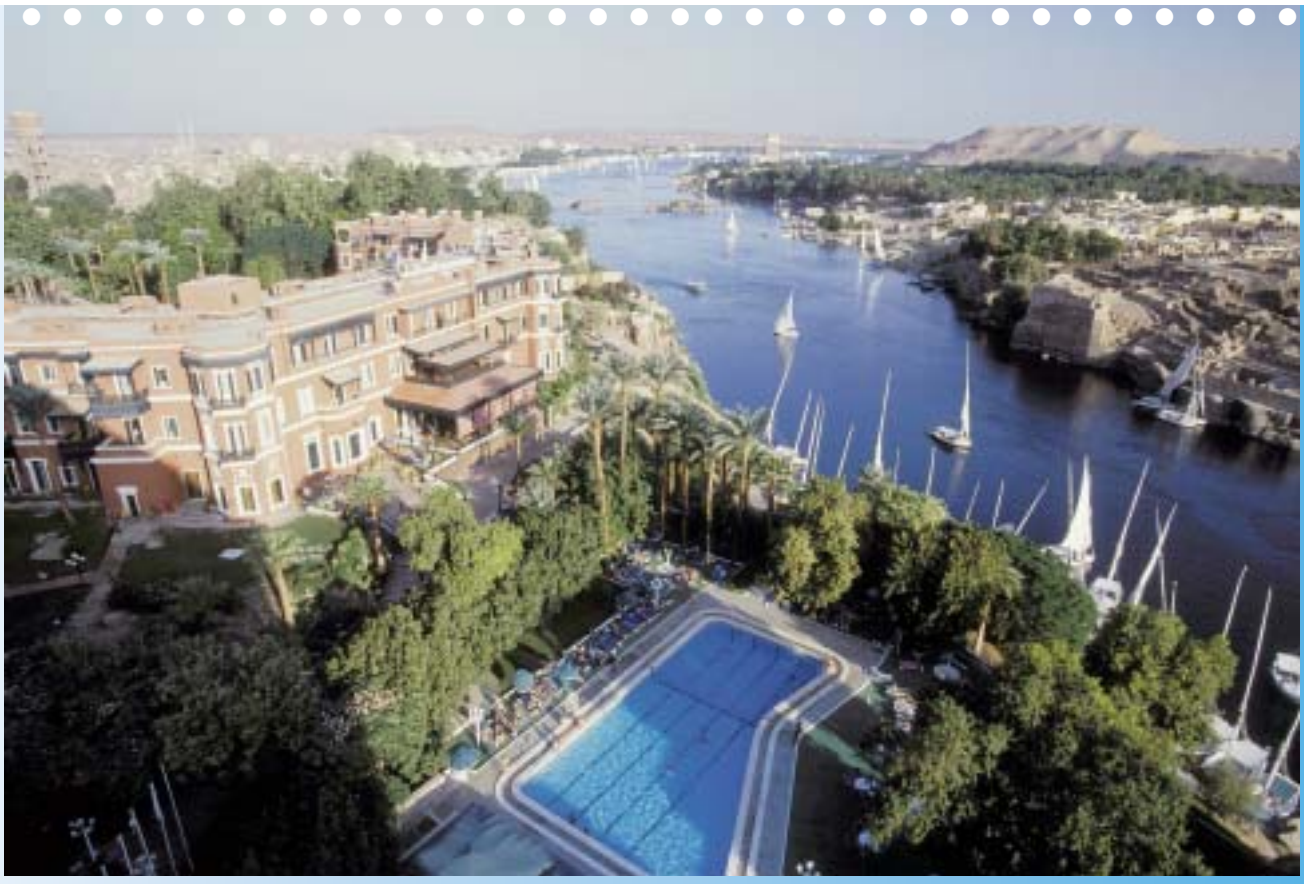

البريطانيون، ولكنه توقف منذ سنة ١٩٨٣ كنتيجة للحرب الأهلية فى السودان، والتى تسبب فيها جزئيا ثورة السكان نتيجة ترحيلهم من تلك المنطقة من أجل مشروع القناة. وقد يؤدى انفصال الجنوب إلى خلق دولة جديدة تطالب بحقها فى موارد النيل، وهو أمر لاتريد مصر أن يقع. لذلك دعمت القاهرة بقوة جهود الحكومة السودانية للحفاظ على وحدة أراضيها.

لقد نبع مشروع قناة جونجلى من نفس فكر الهيمنة الذى كان وراء إنشاء السد العالى فى أسوان، والذى كانت له آثار إيجابية وسلبية على مصر منذ أن بدأ فى العمل سنة ١٩٧٠. فهو، من ناحية، زاد من رقعة الأرض الصالحة للزراعة، وعمل على تحسين الملاحة النهرية فى النيل، ولكنه من ناحية أخرى أدى إلى احتجاز ملايين الأطنان من الطمى الذى يجلبه النهر من المرتفعات الأثيوبية كل عام. فهذا الطمى كان يثرى تربة الدلتا، ولكنه الآن يعوق السد بشكل متزايد. والنتيجة أن مستوى التربة فى الدلتا يهبط، وتزداد ملوحتها نتيجة لتسرب مياه البحر. وكان على مصر أن تعوض مافقدته من طمى بالاعتماد الشديد على الأسمدة. كذلك فقد جعل السد مصر أكثر اعتمادا على الدول المطلة على أعالى النهر، حيث إن نقص كبير فى المياه الواردة لبحيرة ناصر قد يعنى فقدها لنصف طاقة توليد الكهرباء.

ويتذكر البروفيسور لويجندجيك اجتماعا متوترا فى أديسا بابا منذ بضع سنوات اتهم فيه مندوبو أثيوبيا المصريين بأنهم يسرقون، ليس فقط مياه بلدهم، ولكن أيضا تربتها. «فوقف أستاذ مصرى وقال: شكرا جزيلا على المياه، ولكن أرجوكم أن تحتفظوا بالتربة». وهنا بدأت أدرك أن حديث هؤلاء الناس لغو. فقد كانوا يتحدثون مثل السياسيين. لو أنك وضعت مهندسى مياه مصريين ومهندسى مياه أثيوبيين فى غرفة واحدة وتركتهم لمدة أسبوع، وطلبت منهم أن يصلوا إلى حل يرضى الطرفين، فإنى على ثقة من أنهم سيتوصلون إلى هذا الحل.

وحتى مصر، بدأت تدرك عدم استقرار الوضع، حيث إن خمسا من دول حوض النيل تعد من بين أفقر دول العالم، وهناك دولة كبيرة تتعرض لموجات جفاف متكررة فى حين يمارس المصريون والسودانيون أعمال رى ضخمة.

وتبذل مصر جهودا ضخمة لتحقيق الاستخدام الأمثل لمواردها المحدودة، وذلك عن طريق تحسين فاعلية الرى، وتغيير التركيبات المحصولية، وشق قنوات الرى، وإعادة استخدام مياه الصرف. وبالرغم من كل تلك الإجراءات، إلا أنها لاتزال تستورد نحو سبعة ملايين طن من القمح كل عام.

ويرى البروفيسور لويجندجيك أنه قد يكون من الأجدى لمصر أيضا أن تستورد ـ افتراضيا ـ بعضا من احتياجاتها المائية، بتمكينها لأثيوبيا من زراعة بعض ماتحتاجه هى من غذاء. فطبقا لمعهد ورلد واتش WorldWatch، فإن استيراد طن من الحبوب يعادل استيراد ١٠٠٠ طن من الماء.

وقد يكون ذلك عكس مسيرة التاريخ، حيث كانت مصر قديما مزرعة الامبراطورية الرومانية.

ويساهم «مشروع اليونسكو للرعاية الصحية المتكاملة UNESCO-IHE» فى مبادرة حوض النيل عن طريق دعمه لدورة تدريبية إقليمية فى الهندسة النهرية بمصر، وبنائه لشبكة على الإنترنت لتمكين ◀

خبراء المياه من تبادل المعلومات، وبناء إطار فكرى لحل المشكلات. ولاتزال تلك الدول فى مرحلة بناء الثقة ـ وقد ساهم فى ذلك توفر الصور التى تلتقطها الأقمار الصناعية، والتى يصعب معها أن تخفى إحداها بعض الحقائق عن الأخرى.

وليس لدى بعض دول حوض النيل إلا عدد قليل للغاية من المهندسين المدربين، وبالنسبة لهؤلاء تعنى الشبكة أنهم سيصبحون جزءا من دائرة أوسع من الزملاء ذوى الاهتمام المشترك. هذا إلى جانب أن الدول العشر تنشئ حاليا مراكز إقليمية متخصصة فى مختلف جوانب البحث.

ويشير البروفيسور لويجندجيك إلى أن وطنه «هولندا» فى وضع مشابه لوضع مصر. فهى تقع فى نهاية نظام نهرى طويل، وقد احتاج الأمر لعقود حتى استطاعت أن تتغلب على شكوك جيرانها. وقد أمكنها ذلك عن طريق تبادل البيانات، والعمل مع دول أخرى لحل المشكلات، وبناء الثقة شيئا فشيئا. وهو يعتقد أن دول حوض النيل تستطيع أن تصل إلى الدرجة ذاتها من التعاون.

ويقول فى ذلك: «إن الجو العام كله يتغير، ولم أعد مقتنعا الآن بسيناريو الحرب. وأعتقد أن الإنجاز الذى حققته مبادرة حوض النيل بخلقها للجو الملائم، وربما ما تحقق من جانبنا أيضا بتقديمنا للمعرفة، كل ذلك قد مكن الأطراف من النقاش حول المشكلات. وعندما تصل إلى هذه المرحلة، فلن يكون هناك من يتحدث عن المنازعات، ولكن عن كيفية تحقيق أفضل الحلول».

بارى جيمس

رجل وابنه يعملان فى حقول الخضراوات بالقرب من الأهرامات، على مقربة من القاهرة (مصر).

لننقذ ذلك المستنقع

لجأت الحكومات إلى تجفيف السبخ والمستنقعات لتوفير المزيد من الأراضى الصالحة للزراعة، ولكنها كانت بذلك تخسر عنصرا أساسيا لازما لإعادة المياه، والتنوع الأحيائى .

كثيرا ماااعتبرت المستنقعات (أو الأراضى الرطبة) أراض هباء، فحاولت الحكومات أن تجففها للقضاء على الملاريا، أو على الأمراض الأخرى التى تولد فيها، أو لإيجاد مساحات جديدة صالحة للزراعة، أو للتنمية.

غير أن المستنقعات والسبخ استعادت اليوم مكانتها، بعد أن اكتشف العلماء الدور الحيوى الذى تلعبه فى ضبط نوعية وكمية المياه، وتوفير البيئة اللازمة للنباتات والحيوانات، وتأثيرها فى المناخ المحلى.

فالمستنقعات تحتفظ بمياه الأمطار، وتمنع الرسوبيات الغنية من التسرب إلى البحيرات والأنهار. كذلك فهى تضيف رطوبة للجو تتحول إلى أمطار تساعد على ترطيب البيئة، بل ويمكن استخدامها كآلة تقوم بمعالجة الصرف، ولاتحتاج إلا للقليل من التكنولوجيا أو الصيانة.

وخلال المائة عام الماضية اختفت نصف مستنقعات العالم تقريبا، من مستنقعات المنجروف التى تختفى بسرعة شديدة فى شرق آسيا إلى سبخ خليج جامايكا المهددة بيئيا على بعد بضعة أميال من قلب نيويورك. وكثير من تلك المستنقعات التى بقيت، قطعت أوصالها السدود، والقناطر، والقنوات.

ويرجع تقلص مساحات المستنقعات فى أغلبه إلى ضغط النمو السكانى، والتوسع العمرانى. ولكنه حدث عمدا فى بعض الحالات، كما حدث فى العراق عندما جفف نظام صدام حسين معظم الأهوار الشاسعة، التى ظلت ممتدة بين الفرات والدجلة منذ فجر التاريخ، وحول معظم سكانها إلى لاجئين.

وقد قضى البروفيسور باتريك دينى Patrick Denny ـ وهو أحد علماء الأراضى الرطبة ـ معظم حياته العملية فى أوغندا، ثانى دولة فى العالم ـ بعد كندا ـ تفرض حماية رسمية على مستنقعاتها الشاسعة بقوة القانون الدستورى. وهو يعمل فى «معهد دلفت التعليمى للمياه، التابع لمشروع اليونسكو للرعاية الصحية المتكاملة».

ويرى البروفيسور دينى أن المستنقعات الجيدة يمكن أن تلعب دور الإسفنج والمرشح فى آن واحد. «فهى تحتفظ بالماء، وتسمح للنهر بالانسياب

أعلى: مزارع سمكية على أطراف بحيرة فيكتوريا فى أوغندا. تحتجز الأسماك فيها خلال فترة الفيضان، وتنمو داخلها خلال فصل الجفاف عندما تنفصل عن البحيرة. أسفل: أحراش فى العراق. أصاب الكثير من تلك المناطق الحيوية دمار تام.

بشكل أبطأ، كما أنها تحافظ على انسياب الأنهار. وفى موسم الجفاف يبقى الماء منسابا. كما أنها تعطى الفرصة للماء حتى يتسرب فى الخزانات الجوفية الصخرية، وتحافظ على مستوى المياه الجوفية».

ولولا هذه الخاصية الإسفنجية، لازدادت سرعة جريان الأنهار، فجرفت معها من أعلى النهر المواد المغذية، والتربة، والمواد العضوية. ولايمثل ذلك خسارة عضوية فحسب، ولكن المواد المغذية هذه يمكن أن تضر بالبحيرات، وتقتل الأسماك، لأنها تؤدى إلى نمو مخيف للطحالب، وتقلص كمية الأوكسجين فى المستويات الأعمق من النهر - ويطلق على هذه العملية التخصيب eutrophication.

ونستطيع أن نرى مايمكن أن يؤدى إليه إهمال المستنقعات من آثار، فى بحيرة فيكتوريا، أضخم بحيرة استوائية فى العالم، والتى تقع على الحدود بين أوغندا وتنزانيا وكينيا، كما أنها تمثل مصدر الرزق، والغذاء، والعمل لأكثر من ٣٠ مليون نسمة.

فقد استنزف التنوع السمكى الرائع فى تلك البحيرة، ليس فقط نتيجة استزراع أنواع دخيلة متوحشة من الأسماك فى البحيرة، ولكن أيضا نتيجة لانسياب الملوثات إلى البحيرة.

وقد كانت حماية بيئة البحيرة أحد الأسباب التى دفعت الحكومة الأوغندية لتبنى سياسة قومية تجاه المستنقعات، وتضمينها فى الدستور. وبالرغم من التقلص المريع فى المستنقعات، إلا أنها لاتزال تحتل نحو ١٣ بالمائة من مساحة الأراضى الأوغندية.

ويقول البروفيسور دينى: «لاأتصور الآن شيئا أبعد عن الحقيقة من تلك المقولة القديمة: المستنقعات أراض هباء. فلو أديرت أنظمة المياه والمستنقعات بشكل جيد لما أصبح لقضايا الصحة الخطورة التى قد نعتقدها. فالأمراض عادة تأتى من أنظمة سقيمة الإدارة، تدخل فيها الإنسان، فأفسد توازن الطبيعة. ففى نظام يسير على طبيعته الأصلية، ويتمتع بتنوع أحيائى جيد، لانتوقع أن نجد الكثير من البعوض، لكفاية كميات السمك، والحشرات، والطيور التى تأكل يرقاته».

وتحقق المستنقعات تنقية طبيعية، بل إنه من الممكن أن ننشئ مستنقعات صناعية لمعالجة مخلفات الصرف فى قرية مثلا، أو لتنقية مجرى النهر من نباتات الصرف التقليدية، وهو مايفشل كثيرا فى إفريقيا نظرا لانقطاع التيار الكهربى، وضعف الصيانة.

إن السبخ، المزروعة بالبردى سريع النمو، ذى الاستخدامات الاقتصادية العديدة، لاتقوم فقط بالتخلص من النفايات، ولكنها تقوم أيضا بتدوير المواد المغذية، فتوفر بذلك الغذاء للا فقاريات، التى توفر بدورها الغذاء للأسماك والطيور.

ويضيف البروفيسور دينى: «عندما يتوفر تنوع أكبر، تزداد فرصة من يسكنون فى تلك الأنظمة فى حياة أكثر استقرارا واستمرارا. ويستطيع سكان الأنهار أن يؤمنوا موردا سمكيا بمساعدة الطبيعة، وذلك عن طريق حفر البرك فى أماكن تجمع الأسماك، فتتغذى الأسماك على المخلفات المحلية فى تلك البرك التى تبقى ممتلئة بالماء فى موسم الجفاف، فيكبر حجمها».

ويشير البروفيسور دينى إلى أنه حتى الدول الصناعية بدأت فى التخلى عن بعض أعمال الهندسة النهرية فى الأنهار والبحيرات، لتسمح للمياه بالتدفق على السهول الفيضية الطبيعية، لما فى ذلك من آثار مفيدة للناس، وللبيئة، وللتنوع الأحيائى، والخزانات الجوفية الصخرية.

بارى جيمس

فقر مائى وسط ثراء بترولى

فى كازاخستان، وحيث يتقلص بحر آرال الشاسع، يوما بعد يوم، بسرعة شديدة، يعانى المواطنون نقصا فى المياه العذبة، حتى مع الثراء النسبى الذى بدأ يحدث للبلاد.

فى أكتاو بساحل بحر قزوين فى كازاخستان، لاتعيش غسالة الملابس الأجنبية الصنع أكثر من بضعة شهور، نظرا لأن مياه الصنابير محملة بالكيماويات. ومن الطبيعى، والحال كذلك، أن يفضل سكان أكتاو شراء المياه المعدنية، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا، بدلا من أن يخاطروا بالمياه الصفراء الكريهة الرائحة فى غسالاتهم.

وهى مشكلة قومية، حيث إن كازاخستان تمتلك أسوأ مياه شرب نقية فى اتحاد الجمهوريات المستقلة. وترتفع فى المناطق الريفية نسبة الإصابة بالالتهاب الكبدى، وغيره من الأمراض التى تولد فى الماء. وقد أغلق نحو نصف ماكينات رفع المياه (المضخات) والصنابير العمومية فى البلاد بشكل نهائى، إما لتهالكها التام، أو لسوء حالتها.

وتقول «سفيتلانا فويتوفا»، التى تعيش فى قرية كبيرة هى قرية «نارينكول» بالقرب من الحدود الصينية: «ليس لدينا مياه فى البيوت، لذلك نستخدم مضخات القرية، ولكنها كثيرا ماتقطع عنها المياه لأن الناس لايستطيعون دفع قيمتها للسلطات المحلية، وعندها يتعين علينا استخدام مياه النهر». وحتى فى العاصمة المشيدة حديثا «أستانا» تنتشر قصص المياه البنية اللون.

ولكن المشكلات لاتتوقف عند هذا الحد، فكازاخستان موطن أسوأ الكوارث الطبيعية المتعلقة بالمياه على سطح الكوكب.

فقد كان بحر «آرال» رابع أضخم بحيرة تحيط بها اليابسة فى العالم. ولكن منذ خمسينيات القرن الماضى، أدى التخطيط السوفييتى الأخرق إلى تقلص المساحة التى تغطيها المياه إلى الثلث، وانسحاب خط الشاطئ بنحو ١٠٠ كم، مخلفا وراءه مراكب صيد عملاقة لتصدأ بعد أن غرست فى الأرض. وقد انكشف مستوى المياه الجوفية، حتى أن أملاحه تتطاير لتتسلل إلى أعين وحناجر من يعيشون هناك، ولاتنمو به إلا أصناف قليلة من الحبوب. وقد اختفت صناعة

صيد السمك المحلية بشكل شبه تام، وهى التى كانت تنتج فى يوم ما نحو ٣٠,٠٠٠ طن من الأسماك سنويا.

إن التدهور البيئى الحاد، والتلوث الجامح، والمياه غير الصالحة للشرب، والأمراض المعدية، عادة ماتكون المنتج الثانوى للفقر. ولكن كازاخستان دولة غنية. فالحكومة تجنى الملايين من الدولارات بالعملة الصعبة من المشروعات المشتركة مع شركات البترول المتعددة الجنسيات، والتى تدفع مبالغ ضخمة، غير معلنة، للحصول على حقوق استخراج البترول.

وتمتلك الدولة حسابا لمدخراتها من البترول، هو الصندوق القومى للبترول، الذى ينتظر أن يصل حجمه إلى ١٠٠ بليون دولار أمريكى سنة ٢٠٢٠.

ومن سخرية القدر أن أغنى دولة بتروليا فى المنطقة تعانى من أسوأ مشكلات المياه بها. وبينما أنشئ نظام تنقية خاص فى المجمع البدائى الذى أقيم لسكنى الموظفين التنفيذيين الدوليين فى «أتيراو» - وهى مدينة تقع فى غربى كازاخستان، وتعرف «بعاصمة البترول» - إلا أن السكان المحليين لايستطيعون شرب مياه الصنابير، حتى بعد غليها.

ويبدو أن أموال البترول تزيد من حدة عدم المساواة هذه بدلا من أن تعالجها. فلاتوجد خطط عاجلة معروفة لإنفاق أى من أموال الصندوق على الاحتياجات الاجتماعية أو البيئية. وهناك نظام لتنقية المياه فى أكتاو، ولكنه معطوب، ويبدو أنه لاتوجد إرادة سياسية لإصلاحه.

أضف إلى ذلك أن التحول من التخطيط المركزى إلى الاستقلال كان عنيفا إلى حد ما. فبعد عام ١٩٩١ انهار اقتصاد البلاد، وجرف الخدمات فى طريقه. وبحلول عام ١٩٩٤ وصل التضخم إلى ١٩,٧٥ بالمائة، ولم تكن هناك أغذية بالمحلات. ولم يكن من المستغرب إذن، والحال كذلك، أن يتهاوى نظام توفير مياه الشرب مجانا، والذى كان سائدا فى الحقبة الشيوعية.

بيد أن هناك بعضا من أمل الآن، فبالرغم من أن الاقتصاد لايزال اقتصادا فى مرحلة التحول، مع كل مايستتبعه ذلك من صعوبات، إلا أن الحكومة قد بدأت بالفعل فى تنفيذ خطة كازاخستان ٢٠٣٠، التى ترمى إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادى، وتحسين الخدمات.

كارثة بحر آرال.. لا ينتظر تداركها

يعود الوضع الحالى لبحر آرال إلى الماضى أيضا، فقد كان ينظر إلى البيئة فى عهد النظام السوفييتى على أنها حقل تجارب، أو مستودع نفايات، ومورد يجب استغلاله للوصول إلى مستويات الإنتاج المطلوبة، أو على أنها شىء لاأهمية له، فاستخدمت مساحات كاملة من البلاد لإجراء التجارب النووية، فأصبحت الآن ملوثة بالنفايات الضارة. والمنطق نفسه كان وراء تجفيف بحر آرال تدريجيا من أجل رى حقول القطن. فقد جعلت تلك المنطقة مركزا لإنتاج القطن فى الاتحاد السوفييتى، وكان يجب تحقيق حجم الزراعات المستهدف بأى ثمن.

والفوضى التى تسببت، فى مرحلة مابعد الاستقلال فى الانهيار الاقتصادى، هى التى جعلت الدولة فى وضع لايسمح لها بالتعامل مع المشكلات البيئية الضخمة.

وبالرغم من تضافر جهود المنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية لوقف تقلص بحر آرال، إلا أن أفضل مانحلم به الآن هو أن يتوقف انحسار البحر فقط. ومن غير المتوقع أن يعود الحال لما كان عليه من قبل.

ومشكلات المياه التى تعانى منها كازاخستان لها ◀

يمينا ميناء صيد سابق على بحر آرال (كازاخستان). انحسر عنه البحر الآن لمسافة ٦٤ كم.
أعلى: حقول بترول غارقة فى أتيراو (كازاخستان) فى سبتمبر/أيلول عام ١٩٩٤.

مايشبهها فى الدول السوفييتية سابقا. فقد تأثرت بكارثة بحر آرال دول: أوزباكستان، وتركمانستان، وطاجيكستان، وقيرغيزستان المجاورة، حيث ترتبط كلها بالبحر عن طريق نهرى «آمو داريا»، و«سير داريا».

وقد أظهرت الدراسات التى أجريت مؤخرا فى روسيا، أن عينة واحدة تقريبا من بين كل ثلاث عينات من مياه الشرب، تفشل فى اجتياز اختبارات التلوث المعيارية، كما أن هناك انتشارا متكررا لحالات الإصابة بالالتهاب الكبدى والسل. كذلك، فإن نسبة الرصاص مرتفعة فى المياه فى أوزباكستان، كما تنتشر بها حالات السل، كما هو الحال فى روسيا.

وفى سيبيريا، يؤدى استخراج البترول إلى تلويث المياه. فبالرغم من الانخفاض الذى تشهده معدلات إنتاجه هناك، إلا أن تلك المنطقة مازالت المصدر الرئيسى للبترول الروسى. فمنطقة «تويمن» فى غرب سيبيريا، والتى تماثل مساحة ألاسكا، تنتج نحو ثلثى إنتاج البترول فى البلاد.

فقد أدت الممارسات الخاطئة، وسوء إدارة البنية التحتية ـ فصيانة خطوط الأنابيب صعبة ومكلفة فى الظروف الجوية القاسية لسيبيريا ـ إلى تلوث حاد فى موارد المياه السطحية والجوفية. لذلك، فكثيرا مايحدث تسرب بترولى، وتستطيع أن ترى بريق بقع البترول على أسطح الأنهار والبحيرات. إلى جانب أنه مع انخفاض الإنتاج، فمن غير المتوقع أن يحدث تشدد فى المعايير البيئية.

وكما هو الحال مع كازاخستان، فهنا أيضا قد لايأتى ماء الشرب النقى إلا بعد طول انتظار، وحتى عندما يحدث ذلك، فلن يكون هناك من أمل فى إصلاح الضرر البيئى الذى تعانيه الموارد المائية.

إليزابيث ستوارت ، من كازاخستان

أعلى: الكثير من البترول، وماء غير كاف. أسرة أوزبكية تجمع الماء العذب، وبأعلى: عمال بحر آرال يقومون بتركيب الأنابيب فى حقل بترول بكيزيلوردا فى كازاخستان.

بحر من الصوب البلاستيكية فى لاموجونيرا بالقرب من اليجيدو (إسبانيا).

صحـــراء أوروبـــا العطـــشى

دافعت الحكومة الإسبانية بشدة عن قرارها بتحويل المياه من حوض إبرو إلى إقليم «المرية» الجنوبى الذى يعانى من العطش - بيد أن أنصار البيئة لايوافقون على ذلك.

إذا وقفت على المرتفعات المطلة على زرقة مياه البحر المتوسط فى جنوب شرقى إسبانيا فى إقليم المرية فى يوم صيف مشرق، لخيل إليك أنك تنظر إلى سيبيريا فى الشتاء.

فكل قطعة فى تلك الأرض تغطيها صوب بلاستيكية كأنما غسلت أسطحها فابيض لونها، تتلألأ كثلج تحت الشمس. تلك البيوت هى التى تنتج معظم فواكه وخضروات شمال أوروبا. فالمرية بها أضخم زراعة صوب فى العالم، وتنقل منتجاتها مئات الشاحنات يوميا إلى الأسواق الكبرى (سوبر ماركت) مباشرة، فى ألمانيا، أو إسكاندينافيا، أو بريطانيا.

بيد أن الصوب، وملاعب الجولف، والفنادق، والتوسع العمرانى على طول الساحل، يستهلك أكثر مما تستطيع الموارد الجوفية أن توفره من مياه.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن تسرب مياه البحر أدى إلى ملوحة الخزانات الصخرية الجوفية، وبعد أن جفت الأنهار تماما، احتلت الصوب أحواضها الجافة.

وتعتقد الحكومة أنها تستطيع أن تحل مشكلة المياه بضخ كميات منها من حوض إبرو فى شمال إسبانيا. وتشمل خطة المياه القومية، والتى يتوقع أن تتكلف نحو ٢٣ بليون يورو، مد خطوط أنابيب بطول ١٠٠٠ كم، وبناء ٧٠ سدا.

ويعارض المشروع العديد من المواطنين فى الشمال، وكذلك جماعات بيئية إسبانية، حيث يرون أنه قد صمم من قبل، ولمصلحة صناعة البناء - فهو عبارة عن إصلاح تقنى سوف يؤدى إلى تكلفة بيئية واقتصادية باهظة.

كذلك فقد روجعت الخطة مراجعة نقدية من قبل اللجنة والبرلمان الأوروبيين، حيث إن ثلث تمويله تقريبا سوف يقدمه دافعو الضرائب فى الاتحاد

صناعة متنامية، ولكن ماهى تكلفتها؟. الصوب بالقرب من بويبلا دى فيلار قرب المرية (إسبانيا)

الأوروبى.

وتصر الحكومة على أن المشروع يمثل بالفعل رمزا للوحدة الوطنية، كما أن تنفيذه يرتكن إلى أسباب اقتصادية وعملية. ولكن بدلا من أن يؤدى المشروع إلى توحيد البلاد، أسفر عن انقسامات، حيث إن العديد من الوديان فى الشمال سوف يتم إغراقها لتختزن بها المياه. كذلك فقد أثار المشروع غضب سكان منطقة أراجون التى تعتمد على الإبرو. وتستطيع الآن أن تقود سيارتك لساعات ولاتشاهد غير بلدات مهجورة فى محيطه الذى جف.

وفى هذه الأثناء، تنمو صناعة الصوب مدفوعة بتوقع وصول كميات إضافية من المياه. ويمتد هذا البحر من البلاستيك بسرعة شرقا، حيث أسعار الأراضى منخفضة، لتصل الصوب إلى تخوم حديقة «كابو دى جاتا» الطبيعية، أكثر بقعة جافة فى أوروبا كلها.

وتحمل الشاحنات المياه النقية من المرتفعات إلى المطاعم، كما يعتمد معظم الناس على زجاجات المياه المعدنية فى الشرب، لأن الصنابير لاينزل منها إلا ماء ملوث بالملح والمبيدات الحشرية.

ومع ذلك، فإسبانيا التى تنتشر السدود فى أراضيها، ولاتحجز وراءها سوى الهواء وأحواض الطمى، تبذر فى مواردها المائية أيما تبذير. وقد أظهر تقرير لمعهد الإحصاءات القومى أن البلاد تهدر خمسة أضعاف كميات المياه التى تنوى الحكومة تحويلها من خلال خطة المياه القومية.

بارى جيمس

خبيرة ميكروبيولوجى (علم الأحياء المجهرى أو الميكروبات) تجرى اختبار مستويات Ph (رمز كثافة الهيدروجين الأيونية) على المياه الملوثة فى كاتماندو (نيبال)

خليط من الملوثات يمثل تهديدا مستمرا

خلقت المنتجات الكيماوية والهرمونات الموجودة فى إمدادات المياه قنبلة زمنية بيئية

تعانى موارد المياه المحدودة فى العالم من ضغط النمو السكانى، وكذلك من زيادة الطلب عليها من جانب مايسمى بالتقدم.

وقد ثبت أن كثيرا من منتجات الحضارة الحديثة التى يلقى بمخلفاتها في موارد المياه الجوفية، تبقى بها، ولا تتلاشى.

فالمبيدات الحشرية، ومبيدات الحشائش الضارة، والأسمدة، والهورمونات، والمضادات الحيوية، المستخدمة فى الإنتاج الحيوانى تترسب فى المياه الجوفية. كذلك فمخلفات تنظيف البيوت، ومنتجات العناية الشخصية، والمطهرات، وغيرها من المواد الكيماوية الشائعة الاستخدام يستقر بها المقام فى الصرف الصحى.

وتستطيع معظم أجهزة معالجة الصرف فى العالم الصناعى، أن تطهر المياه من الكائنات الضارة، ومع ذلك تبقى مشكلة المنتجات النشطة هورمونيا، مثل حبوب منع الحمل التى لها قدرة على التأثير فى الأعضاء التناسلية، وتغيير تطور الحيوانات.

ولايوجد أمل أمام الدول المتنامية. فطبقا للجمعية الدولية للعلوم الهيدرولوجية، لاتعمل تسعون بالمائة من أجهزة معالجة مياه الصرف فى المكسيك، فى حين لاتتم معالجة سوى ٢ بالمائة من مياه الصرف فى أمريكا اللاتينية بأسرها، وهو مايضر بشدة بالنظم البيئية، وبالتنوع البيئى.

تلوث المياه بالقرب من بنوم بنه (كمبوديا)

المخاطر مجهولة

فكل لتر من مياه الصرف يلوث فى المتوسط ثمانية لترات من الماء العذب. ويفوق إجمالى كميات المياه الملوثة فى العالم كمية المياه فى أضخم أحواض الأنهار فى العالم، وذلك طبقا لتقديرات «تقرير الأمم المتحدة للتنمية المائية في العالم».

وذلك فى حين تحتاج خزانات المياه الجوفية الصخرية، التى تحتفظ بنحو ٩٧ بالمائة من المياه العذبة على وجه الأرض، لآلاف السنين حتى تختزن المياه، وإذا ما نضبت أو تلوثت فلا أمل فى تعافيها أو عودتها إلى حالتها الطبيعية السابقة.

ويعتقد بعض الساسة أن باستطاعتهم تجاهل هذا التلوث، نظرا لأنه غير ظاهر للعيان، فى حين يعمد البعض الآخر لتبنى مايعرف بمبدأ الاحتراز.

وبالرغم من التقدم الذى تشهده أدوات الكشف عن الكيماويات الملوثة وقياسها، إلا أن الباحثين والمشرعين لايعرفون على وجه الدقة مدى سرعة تدهور تلك الكيماويات، ولا مدى تأثيرها على البيئة، ولاكيف تتركز فى السلسلة الغذائية، ولا مدى تأثيرها على المشكلات الصحية للإنسان.

أضف إلى ذلك أن الموادالكيماوية التى تعرف طريقها للمياه يحتمل جدا أن تتفاعل، معرضة الحياة البرية والبشرية لأضرار إضافية ومتضافرة لايمكن توقعها.

إن المركبات التى ينتهى بها المطاف إلى موارد المياه تلعب دورا متزايد الأهمية فى دورة حياة الكائنات، بما فى ذلك كتاب وقراء هذا المقال. لذلك فكل فرد، فى الدول المتقدمة والمتنامية على حد سواء، له مصلحة مباشرة فى ضمان بقاء المياه مصدرا للحياة، وليس مصنعا لدمارها المحتمل.

كارلوس سونينشاين وآنا م. سوتى
الكاتبان أستاذان وباحثان فى مدرسة تافتس الجامعية للطب

إدارة الموارد النادرة: تحد للديمقراطية

هناك تقليد يعود إلى أيام الحضارة العربية فى الأندلس، حيث تجتمع محكمة كل يوم خميس خارج كاتدرائية فالنسيا للنظر فى اقتسام مياه الرى، وحل المنازعات فى حوض نهر توريا. إنه أقدم مثال لما قد يطلق عليه اليوم الإدارة المتكاملة للموارد المائية، إذ كان القضاة ينتخبون من بين العمال العاديين بشكل ديمقراطى، لمدة سنتين، وكانوا يمثلون كلا من شبكات الرى الثمانى فى حوض النهر. وكانوا يرتدون ملابس العمال، ويصدرون أحكامهم شفويا باللهجة الفالنسية، وكان حكمهم نهائيا. وهكذا، فإن محكمة مياه فالنسيا تعتبر مثالا مصغرا «لحسن الإدارة»، فهى فعالة، ومتاحة للجميع، وممكنة، ومحترمة، وسريعة، وشفافة، وتضم المجتمع كله. كما أنها تتخذ من حوض النهر ككل نقطة انطلاق لها، وهو مبدأ لم يوجد له أساس على المستوى القومى أو الدولى، إلا الآن فقط.

لقد أكد العديد من المؤتمرات الدولية على فكرة التعامل مع أحواض الأنهار بشكل كلى، بدلا من اقتصار التخطيط على الحدود الجغرافية، وكان آخرها ندوة ستوكهولم للمياه فى أغسطس الماضى.

ويتمثل أحد التحديات الكبرى فى الخروج بالنقاش حول الإدارة المائية من دائرة ورش العمل المليئة باللغو إلى الجمهور العام. وقد حدث ذلك، على سبيل المثال، عند بناء جسر أوريسوند Oresund بين الدنمارك والسويد، كما يقول سالفاكو فيليكوف Salvaco Velickov خبير نظم المعرفة فى معهد «مشروع اليونسكو للرعاية الصحية المتكاملة» فى دلفت، والذى يدرس هو وزملاؤه أساليب جديدة لإشراك أفراد بلا خلفية علمية أو تدريب تقنى فى اتخاذ قرارات معقدة. ويقول فى ذلك: «إننا ننشئ نماذج علمية معقدة، تشتمل على لعب الأدوار. فتستطيع أن تطرح سؤالا من قبيل «لو استخدمنا الكثير من مياه هذا السد، فماذا سيحدث لأنظمة الرى فى أعلى النهر»؟. ونقوم نحن بإجراء الحسابات المعقدة فى الخلفية، ولكننا لانشغل بال الناس بالعلوم، فهم يرون النتائج فقط».

إن الافتقار للإرادة السياسية هو العقبة الأساسية أمام بناء الثقة وتحقيق التعاون فى إدارة الموارد المائية. على أن تقرير الأمم المتحدة حول التنمية المائية فى العالم يقول: إن هذا الوضع يشهد تحسنا. وقد جاء بالتقرير «بالرغم من أن التقدم فى مجال الإدارة المائية، وما يتعلق بها من مجالات الإدارة الأخرى، بطىء وغير متساو بشكل لايصدق، إلا أن هناك دلائل مشجعة على أن إصلاح الإدارة المائية قد بدأ يتبوأ مكانه فى العديد من البلدان»

بى.جى.

لمزيد من المعلومات:

١ العام الدولى للماء العذب
تقرير الأمم المتحدة، والماء للناس، والماء للحياة متاحة كاملة على شبكة الإنترنت، مصحوبة بملخص تنفيذى فى سبع لغات. هذا العام هو عام الماء العذب، وتقول الأمم المتحدة: إنه مناسبة «لتركيز الاهتمام على حماية واحترام مواردنا المائية، كأفراد، وكمجتمعات، وكدول، وكأسرة عالمية من المواطنين المهتمين بهذا الشأن».
http://www.wateryear2003.org

٢ بوابة المياه فى الأمريكتين على شبكة الإنترنت
مورد معلومات تجريبى حول المياه، يوفر «معلومات وقوائم اتصالات مؤهلة، وموثوق بها، ومؤكدة الصحة».
http://waterportal-americas.org

٣ نظام متابعة أحوال الأرض (إيرث ووتش) التابع للأمم المتحدة
تقوم «إيرث ووتش» بالتنسيق بين الرقابة البيئية والتقييم داخل نظام الأمم المتحدة ككل.
http://eartwatch.unep.ch/freshwater

٤ بارونات المياه
سلسلة من دراسات الحالة الصريحة غير المرئية حول القطاع الخاص، المائى، أجراها المنتدى الدولى لصحافيى التحقيقات.
http://www.icij.org/water

٥ المعهد الدولى للتنمية للمعايش
موقع بيئى عام يحتوى على وصلة لقائمة مراسلات عالمية حول موضوعات المياه.
http://www.iisd.org

٦ قاعدة بيانات منازعات المياه العذبة العابرة للحدود القومية
استطاع قسم العلوم الجغرافية بجامعة ولاية أوريجون أن يجمع مجموعة مفيدة للغاية من الخرائط، وقاعدة معلومات حول اتفاقيات أو معاهدات المياه.
http://www.transboundarywaters.orst.edu

٧ قائمة المنازعات والبيئة
موقع يقدم قاعدة مشتركة، ومنهجا للنظر فى المنازعات. يشتمل على أكثر من ١٠٠ دراسة حالة، كثير منها قديم، ولكنها لاتزال مهمة.
http://www.american.edu/TED/ice/ice.htm

٨ من نزاع محتمل إلى إمكانية التعاون
سلسلة عن النزاعات الحقيقية التى قامت حول المياه، من خلال دراسات حالة.
http://webworld.unesco.org/water/wwap/pccp/cd/case_studies.html

٩ معونات المياه (ووتر إيد)
منظمة غير حكومية دولية متخصصة فى التوفير المعيشى للمياه الآمنة للاستخدامات المنزلية، والصحة والرعاية الصحية، والتعليم لأفقر شعوب العالم.
http:www.waterraid.org.uk

بعـــض الحقائـــق حـــول الميـــاه يحب معرفتها

١ معظم مياه العالم غير صالحة للشرب. فلو كانت مياه البحر على سطح الكوكب تعادل دلوا كبيرا، لكانت المياه المختزنة فى الثلوج فى حجم قشرة البيضة، وكان حجم المياه الصالحة للشرب أقل من حجم ملعقة الشاى.

٢ الماء فى حالة إعادة تدوير مستمرة نتيجة للتبخر الذى تحدثه الطاقة الشمسية. وهذه الدورة تستهلك كما يوميا من الطاقة أكثر مما استهلكه الجنس البشرى طوال تاريخه.

٣ يموت كل يوم حوالى ٦٠٠٠ طفل - مايعادل حمولة ١٨ طائرة جامبو ممتلئة عن آخرها بالركاب - من جراء أمراض متعلقة بعدم وجود مياه آمنة للشرب ورعاية صحية غير ملائمة، ومستوى منخفض من النظافة الشخصية. ونصف أسرة مستشفيات العالم يرقد بها، فى أى لحظة، مرضى يعانون من أمراض تولد فى الماء. وعدد من يموتون من أمراض الإسهال أكثر من أولئك الذين يموتون بمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز).

٤ حوالى ٧٠٪ من المياه العذبة يذهب للرى، ولكن نصفها أو أكثر لايصل للحقول أحيانا بسبب التسرب من أنابيب الإمداد أو التبخر. ويتوقع أن تزداد مساحات الأرض المروية فى الدول المتقدمة بحوالى ٢٠ بالمائة، فى حين ستقل كميات المياه المخصصة للرى بنسبة ١٤ بالمائة خلال السنوات الخمس والعشرين القادمة، حيث إن الرى يزيد من غلة معظم المحاصيل بما بين ١٠٠ إلى ٤٠٠ بالمائة. ويتطلب الغذاء الذى يحتاجه الفرد كمية مياه تعادل ١٠٠٠ مرة الكمية التى يحتاجها للشرب. ويحتاج كيلو جرام القمح مترا مكعبا واحدا من المياه. وتتكلف تحلية متر مكعب واحد من المياه ٩٠ سنتا أمريكيا، وهو مايجعل ماء البحر مصدرا غير محتمل للإنتاج الغذائى.

٥ معظم المدن التى تعيش فيها أعداد كبيرة من البشر بدون صنابير أو دورات مياه تمتلك موارد مائية كبيرة. وفى المدن التى تعانى قصورا فى إمدادات المياه، نادرا مانجد أى قيود على استخدام المياه من قبل الأثرياء. والاستخدامات المنزلية للمياه لاتمثل سوى مابين ٨ إلى ١٠ بالمائة من الاستهلاك الإجمالى للمياه.

٦ نصف الأفارقة، أى نحو ٣٠٠ مليون شخص، لايجدون المياه الآمنة، و٦٦ بالمائة، أى حوالى ٤٠٠ مليون، ليس لديهم فرصة لأى رعاية صحية. والموارد المائية المتاحة فى إفريقيا غير مستغلة على الوجه الأمثل. فنحو ثلاثة بالمائة فقط من مصادرها المائية المتجددة تستخدم سنويا للأغراض المنزلية، والزراعية، والصناعية، ونحو ٦ بالمائة فقط من الأرض الزراعية يتم ريها ولايستغل إلا أقل من ٥ بالمائة من قدرتها فى الطاقة الهيدروليكية. وكمية المياه المفقودة فى العاصمة الكينية نيروبى بسبب التسرب، ووصلات المياه غير القانونية، يمكن أن تغطى احتياجات ثانى أضخم مدنها، مومباسا، من المياه.

٧ يعتمد نحو ٩٠ بالمائة من الأنواع السمكية على المستنقعات الساحلية التى تشهد تدهورا حادا فى كل مكان. وتقدر نسبة المستنقعات التى فقدت فى إيطاليا بنحو ٩٥ بالمائة.

٨ المناطق التى تسحب من المياه الجوفية كميات أكبر من تلك التى تستطيع الخزانات الجوفية الصخرية أن تعوضه تشمل: غرب الولايات المتحدة، وشمال الصين، وشمال وغرب الهند، وشمال إفريقيا، وغرب آسيا.

٩ بعض موارد المياه العذبة فى العالم آخذة فى التلاشى. وتشمل: بحر آرال الذى كان يغطى مساحة ٦٨٠٠٠ كم مربع سنة ١٩٦٠، ثم فقد منذئذ ٦٠ بالمائة من مساحته، و٨٠ بالمائة من كمية المياه به، وبحيرة تشاد التى تقلصت إلى نحو خمس حجمها السابق خلال ٤٠ سنة، ونهر كولورادو الذى لم يعد يصل إلى البحر فى موسم الجفاف.

١٠ الخوف من نوعية مياه الصنابير دفعت ملايين الأمريكيين إلى الاعتماد على المياه المعبأة فى زجاجات - والتى يأتى نحو ربعها من مياه الصنابير مباشرة. وقد اكتشف أن إحدى شركات «مياه الينابيع» كانت تعبئ الزجاجات من موقع صناعى مجاور لموقع جمع المخلفات. والتشريعات الرقابية على المياه المعبأة أقل صرامة حاليا من تلك المطبقة على مياه الصنابير، ولكن سعرها أعلى بمئات المرات، إلى جانب سعر الشحن والبلاستيك.

١١ صناعة الكمبيوتر «النظيفة» هى واحدة من أكثر صناعات العالم عطشا. فإنتاج شريحة سليكون بحجم ست بوصات تتطلب استخدام ٨,٦٠٠ لتر من الماء.

١٢ أقيم أكثر من ٤٥٠٠٠ سد كبير، وأكثر من نصف أنهار العالم أقيم عليها سد واحد على الأقل . وتنتج السدود ١٩ بالمائة من الطاقة الكهربية فى العالم، وتمثل نحو ٤٠ بالمائة من موارد الرى فى العالم. وقد استطاعت أوروبا وأمريكا الشمالية أن تطور أكثر من ٧٠ بالمائة من قدرتها الكهربية الهيدروليكية، مقارنة بأقل من ٥ بالمائة فى إفريقيا، و٢٠ بالمائة فى الصين، و٣٠ بالمائة فى آسيا، و٤٠ بالمائة فى أمريكا اللاتينية. ولكن تم ترحيل مابين ٤٠ إلى ٨٠ مليون نسمة بسبب السدود. وقلما يرجع إلى الناس للمناقشة حول الفوائد والآثار الجانبية. وقد أدت السدود إلى فقدان غابات، وبيئات للحياة البرية، وتنوع بيئى إلى درجة حدت ببعض البلدان إلى هدمها. وعادة ماتفشل السدود فى توفير الطاقة التى صممت من أجل توفيرها بسبب الترسيبات.

المصادر:

- السياسة المائية الدولية المحدودة.
٢ - منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة.
٣ - مجموعة عمل WEHAB التابعة للأمم المتحدة.
٤ - معهد موارد العالم: معهد أبحاث سياسات الغذاء الدولى/مجموعة عمل WEHAB التابعة للأمم المتحدة J.F. Rischard, "High Noon"
٥ - مجلس الموارد المائية والصحة التعاونى.
٦ - برنامج المياه والرعاية الصحية بمنطقة إفريقيا/تقرير المجلس العالمى لتمويل البنية التحتية للمياه / آنا تيبايوكا Anna Tibaijuka المدير التنفيذى فى HABITAT-UN.
٧ - ليستر براون، الاقتصاد البيئى.
٨ - منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة.
٩ - J.F. Rischard, "High Noon"/ Deutsches Zentrum fur Luft und Raumfahrt
١٠ - مجلس الدفاع عن الموارد الطبيعية.
١١ - تحالف سميات وادى السيليكون.
١٢ - اللجنة الدولية للسدود/تقرير المجلس العالمى لتمويل البنية التحتية للمياه.

المياه فى تاريـــخ اليونســـكو

١٩٦٧: أبحاث على استخدام الماء المالح فى الرى (يسارا). بدوى فى الصحراء (وسط).

ترجع أنشطة اليونسكو المتعلقة بالمياه إلى سنوات المنظمة الباكرة. فقد طلب الاجتماع الثالث للمؤتمر العام فى بيروت سنة ١٩٤٨ من المدير العام أن يدرس اقتراحات بإنشاء معهد دولى للمناطق القاحلة. وأثمرت تلك المبادرة إنشاء «اللجنة الاستشارية لأبحاث المناطق الجافة» ، والتى عقد أول اجتماع لها فى الجزائر العاصمة فى أبريل/نيسان عام ١٩٥١. وأصبحت المناطق الجافة، بين عامى ١٩٥٧ و١٩٦٦، واحدة مما يسمى بالمشروعات الكبرى لليونسكو، التى أسفرت عن نتيجة مهمة، تمثلت فى نشر ٣٠ كتابا من الدراسات العلمية.

وكان «المشروع الكبير» مجرد بداية لجهود طويلة مثمرة بذلتها اليونسكو لاستخدام العلم فى خدمة البيئة والتنمية. فالجفاف يفرض مشكلة الموارد المائية، وهو ما أدى باليونسكو إلى إطلاق برنامج بحثى جديد، اعتمد على التعاون بين الحكومات فيما يتعلق بدورة المياه العذبة،

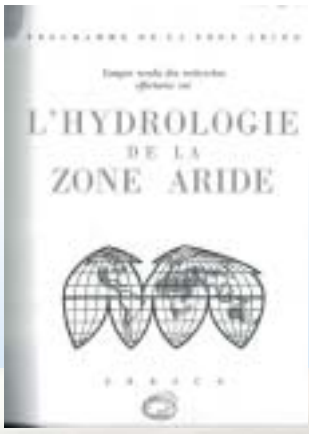

١٩٦٦: معمل أبحاث بمعهد أبحاث المناطق الجافة فى بغداد (العراق) وهو ممول من اليونسكو (أعلى).

١٩٦٧: فى أثناء العمل فى ريو بالبرازيل فى دراسات اليونسكو الهيدرولوجية لأعالى حوض نهر باراجواى (أسفل)

وكمياتها، ونوعياتها حول العالم. وكان ذلك هو العقد الهيدرولوجى (المائى) الدولى، الذى شاركت فيه أكثر من ١٠٠ دولة بين عامى ١٩٦٥ و١٩٧٤. وتلاه البرنامج الهيدرولوجى الدولى، الذى لايزال مستمرا حتى اليوم.

وكان الهدف العام هو «زيادة درجة الإدارة الحكيمة للمياه (...) لفائدة الجنس البشرى». وسوف تشاهد على صفحات الأرشيف صورا لبعض أنشطة مشروع المناطق الجافة، والعقد الهيدرولوجى.

جامعة ميتشيل دى مونتانى - بوردو

التنميـــــة المستدامـــــة للشركـــات أيضـــا

هل التنمية المستدامة، ليست أكثر من مادة تسويق بالنسبة إلى الشركات التجارية؟. والمنظمات غير الحكومية، هل هى مستعدة للعمل مع القطاع الخاص؟. وماهى نقاط الالتقاء والاختلاف بين الفريقين؟. لقد صدر كتاب بعنوان (الشركات فى مواجهة تحديات التنمية المستدامة)، وهو يحلل مختلف التجارب، مثل التمويل التفصيلى فى الهند، ودور صناعة التأمين، وخيار حرية التجارة فى القطن لحل مشكلات صناعة النسيج، أو مساهمة شركة الكهرباء الفرنسية EDF فى كهربة المناطق الريفية فى الدول النامية. كذلك يبحث الكتاب فى مختلف أنواع الالتزام الاجتماعى، مثل مواثيق الشرف، والضمانات الأخلاقية، والصناديق المخصصة لأغراض أخلاقية، والأجازات المخصصة للتضامن.

وقد نشر الكتـــاب تـحت إشراف آنـــى ناجيـم Anni Najim أستاذة كرسى اليونسكو للتدريب المهنى على التنمية المستدامة بجامعة بوردو ٣. وقد أنشأ الكرسى، فى سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠٢ درجة متوسطة للمهنيين العاملين فى المنظمات غير الحكومية، والسلطات الوطنية والهيئات الدولية، والأعمال. ويعمل الكرسى مع شبكة واسعة من الجامعات، والأعمال النشطة فى المجتمع فى سبع دول هى: الجزائر، وبلجيكا، وفرنسا، والمغرب، والأراضى الفلسطينية، وإسبانيا، وتونس. وهناك خمسة عشر كرسيا لليونسكو للتنمية المستدامة فى الأمريكتين وأوروبا وآسيا، تلبى احتياجات التكوين المهنى والتنمية، وتستجيب لتحدى فتح الجامعات أمام المعرفة والدراية بكيفية الأداء المتطورة فى هذا المجال.

* UNESCO/karthala, Collection Economie et développement Paris 2003, 485 p.

Contacts بيانات الاتصال:
Bordeaux 3:
annie.najim@u-bordeaux3.fr
tel:+33(0)5 57 :12178
UNESCO:
c.von-furstenberg@unesco.org
tel:+33 (0) 1 45 68 45 16.

الإنتربول

تضييـــق الخنـــاق

وحدت اليونسكو جهودها مع المنظمة الدولية لشرطة الجريمة (الإنتربول) من أجل مواجهة الاتجار غير المشروع فى المنتجات الثقافية العراقية. ففى الثامن من يوليو/تموز قاما بتعديل اتفاقية التعاون التى ربطت بين الجهتين منذ عام ١٩٩٩، ليمهدا بذلك الطريق أمام إنشاء قاعدة بيانات للممتلكات الثقافية التى سرقت من العراق. وسوف توفر هذه القاعدة للقائمين على الجمارك، والشرطة، والأطراف الأخرى الفاعلة فى سوق الفن الدولية، معلومات يتم تحديثها بانتظام حول التراث الثقافى العراقى المسروق.

وتعتمد قاعدة البيانات هذه على المعلومات التى توفرها اليونسكو - والتى ستقدم أيضا الخبرة العلمية بمشاركة من منظمات وطنية ودولية أخرى - وسوف توضع على أقراص مدمجة ينتجها الإنتربول، ويتم توزيعها، على أن يتم تحديثها كل شهرين. ويتوفر هذا القرص المدمج منذ سنة ٢٠٠١ بالفرنسية والإنجليزية والإسبانية، وسوف يتاح قريبا على شبكة الإنترنت.

وقد طلبت اليونسكو من الإنتربول فى مارس/آذار عام ٢٠٠٣ أن تكثف جهودها لمكافحة الاتجار غير المشروع فى الممتلكات الثقافية العراقية. كذلك فقد شارك ممثل عن الإنتربول فى بعثة خبراء اليونسكو الثانية، برئاسة منير بوشناقى، والتى زارت العراق فى الفترة مابين الثامن والعشرين من يونية/حزيران، وحتى الخامس من يوليو/تموز.

وقد دأبت المنظمتان، منذ عدة سنوات، على تبادل المعلومات حول المقتنيات المسروقة التى تظهر فى الأسواق الدولية. وقد شاركت الإنتربول أيضا فى اجتماعات «لجنة الحكومات من أجل تشجيع عودة الممتلكات الثقافية لبلدانها الأصلية، أو استعادتها فى حالة الحصول غير المشروع عليها»، والتى تعقد اجتماعاتها كل عامين. كذلك تتعاون المنظمتان فى تدريب المتخصصين على أنشطة كثيرة، من بينها مكافحة الاتجار غير المشروع فى الممتلكات الثقافية فى عدد كبير من البلدان.

باتريشيا فيلاسكويز

نمـوذج للســـلام

فى يونية/حزيران الماضى، تم ترسيم عارضة الأزياء والممثلة الفنزويلية باتريشيا فيلاسكويز كفنانة اليونسكو من أجل السلام، وذلك اعترافا بجهودها من أجل السكان الأصليين فى منطقة لاجواجيرا، أحد أفقر المناطق فى فنزويلا، والتى تقع على الحدود مع كولومبيا.

وقد ولدت باترشيا، أفضل العارضات، فى لاجواجيرا سنة ١٩٧١. وقد شاركت فى عدة أفلام فى أثناء عملها كعارضة، ومنها «النمر»، و«المومياء»، و«عودة المومياء». وقد استغلت نجاحها فى إنشاء مؤسسة «وايو تايا» سنة ٢٠٠٢، والتى تقوم بدعم مشروعات التنمية فى «لاجواجيرا».

وفنانو السلام هم أولئك المشاهير على المستوى الدولى الذين يحدث تأثيرهم وجاذبيتهم الشخصية، ووضعهم الاجتماعى، صدى خاصا لرسالة اليونسكو.

«أينا» لتنمية الإعلام فى أفغانستان

المـــــرأة الأفغانيـــة كمـا تـراها المـرأة الأفغانيـــة

كانت كل منهما تساعد الأخرى على المنصة، وكانت تبدو عليهما الرهبة والاضطراب، لأنهما أصبحتا محط الأنظار. وأسدلت كل منهما، فى غير اكتراث، على رأسها وشاحا أسود اللون، واستعدت للإجابة على أسئلة جمهور مبهور، وتملأ رأسه الأسئلة بعد عرض فيلم «وجهة نظر المـرأة الأفغانيـة The View from Afghan Women». ففى الأول من أبريل/نيسان عام ٢٠٠٣ حضرت إلى مقر اليونسكو «مهريا عزيز» و«شكيبة مهد علم»، وكلتاهما فى العشرين من عمرها، بصحبة معلمتهما الصحفية الفرنسية برجيت برو لعرض فيلمهما الوثائقى. والاثنتان ضمن مجموعة من ٢٠ مخرجا قامت جمعية أينا بتدريبهم، وهى جمعية لتنمية الإعلام أنشئت فى كابول سنة ٢٠٠١ بدعم من اليونسكو.

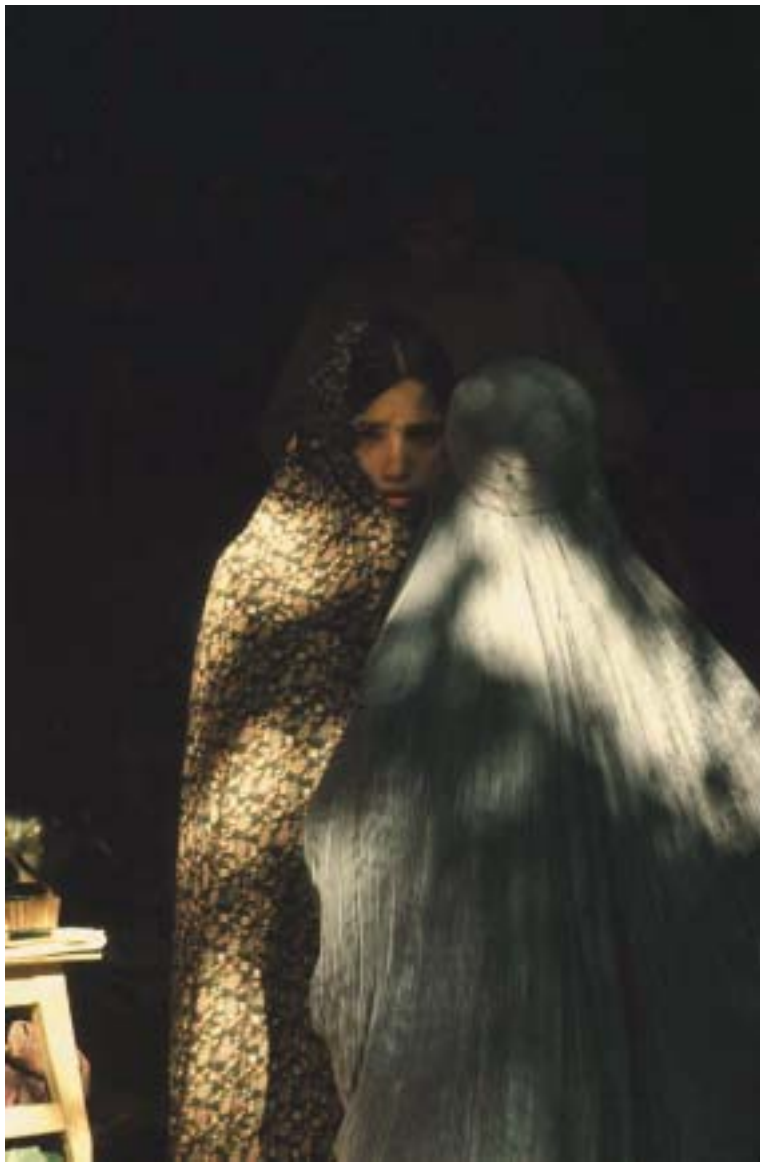

وقد قررت الشابتان أن يقوم أول فيلم لهما على لقاءات أجرتاها مع نساء أخريات فى أماكن أخرى فى أفغانستان. وكانتا تقومان بالتصوير بأنفسهما أثناء العمل. وكان التناقض بين الفريقين شديدا: الحيوية فى نساء كابول، مدفوعة بالحرية والإمكانات التى وفرها لهن التعليم، والحياة الراكدة للأخريات. فنساء الهازارا، على سبيل المثال، لجأن لكهوف باميان لرعاية أيتامهن بعد أن فقدن المسكن والزوج، ونسيهن الجميع. وقد سجلت عدسات الفيلم إعداد النساء اليومى للعصيدة التى يفترض أن تطعم جيشا من الأطفال يملؤون الشاشة، فى حين تنهض امرأة جريئة قائلة: «اعطونا أنوالا حتى نستطيع أن نتكسب قوتنا»!.

إن الظم الجاثم على صدور نساء أفغانستان حاضر على الدوام، من الكوتشى فى إقليم نانجارهار اللائى يجازفن برفع أصواتهن، إلى نساء حيرات الرافضات لذلك. وتقول شابة يائسة من باداكشان: إنها لاتستطيع أن تبرح بيتها لأن قائدا محليا أقسم على اختطافها بمجرد أن تواتيه الفرصة. بل إن بعض الرجال هاجمن المخرجتين الشابتين. ولكننا نرى فى الفيلم أيضا أحد «الملالى»، وهو والد إحدى المخرجتين يتحدث عن طموح ابنته فى أن تصبح صحفية. ويقول: «لقد عارضت الفكرة فى البداية، ثم أجلت فيها الفكر، فأنا أثق فى الجمعية، وهذا إذا أردنا لأفغانستان أن تتحضر... ».

مكافحة الرق الدولية،
المجلس البريطاني، نوراد

تعرف على تجارة العبيد عبر الأطلنطى

قامت منظمة مكافحة الرق الدولية، وهى منظمة غير حكومية، والمجلس البريطانى، والحكومة النرويجية بتوحيد جهودها مع اليونسكو من أجل إنشاء موقع جديد على شبكة الإنترنت موجه للمعلمين والمتعلمين حول تجارة العبيد عبر الأطلنطى. ويرشد الموقع المدرسين والمعلمين والطلبة إلى المصادر المتاحة والدقيقة حول تجارة العبيد وميراثها، بما فى ذلك الأشكال المعاصرة من الاسترقاق، كما يقترح خططا للتدريس وتمارين. ويعتزم طرح الموقع بلغات أخرى أيضا (انظرص ٧٠)

http://www.antislavery.org/breakingthesilence/

مؤسسة قطر

إعادة بناء التعليم العالى فى العراق

فى الثالث والعشرين من يونية/حزيران تم توقيع اتفاق لتأسيس الصندوق الدولى للتعليم العالى العراقى. ووقع على الاتفاق سيدة قطر الأولى، مبعوثة اليونسكو الخاصة للتعليم الأساسى والعالى، صاحبة السمو الشيخة موزه بنت ناصر المسند، ومدير عام اليونسكو كويشيرو ماتسورا.

ويدير الصندوق اليونسكو ومؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، وهى منظمة لاتهدف للربح، ترأسها صاحبة السمو. وكانت دولة قطر أول مساهم فى الصندوق، حيث تبرعت بخمسة عشر مليون دولار أمريكى لتوفير الدعم العاجل وطويل الأجل لإعادة بناء التعليم العالى فى العراق.

سومى جو

صوت الكنوز الحية

تم ترسيم السوبرانو الكورية «سومى جو» فنانة اليونسكو للسلام فى الثالث من أبريل/نيسان، وذلك اعترافا بجهودها فى ترويج الثقافة الكورية فى جميع أنحاء العالم، وبمساهمتها فى التعاون الدولى من أجل خدمة السلام والتسامح.

وقد ولدت سومى سنة ١٩٦٢، وأصبحت من أفضل الأصوات الأوبرالية المعاصرة، وقد شاركت اليونسكو فى تأسيس شبكة «الكنوز البشرية الحية»، وهم أولئك الذين تتجسد فيهم قمة المهارات والتقنيات اللازمة لإظهار جوانب مختارة من الحياة الثقافية للشعوب، والتأكيد على استمرارية وجود تراثهم الثقافى المادى.

وكالة الفضاء الأوروبية

حماية الإرث الجديد

فى الثامن عشر من يونية/حزيران، وقعت كل من اليونسكو ووكالة الفضاء الأوروبية (إيسا ESA) اتفاقا لتشجيع استخدام أقمار رصد الأرض فى مراقبة مواقع التراث العالمى. فالأقمار الصناعية التى توفر صورا عالية الدقة، تعتبر أداة مهمة لمراقبة المواقع، وتتبع التغيرات فى استغلال التربة، وبعض الظواهر مثل إزالة الغابات. ويمثل هذا الاتفاق بداية إطلاق «مبادرة المشاركة المفتوحة بين اليونسكو وإيسا»، والتى تهدف لتشجيع كل وكالات الفضاء العاملة على مساعدة الدول المتنامية فى مراقبة مواقع تراثها العالمى.

وفى إطار المبادرة، اقتربت اليونسكو من التوقيع على اتفاق تعاون مع «إدارة الطيران والفضاء القومية الأمريكية» (ناسا)، كما تلقت طلبات بالمشاركة من وكالات الفضاء الأرجنتينية، والهندية، واليابانية، والكندية، والبرازيلية.

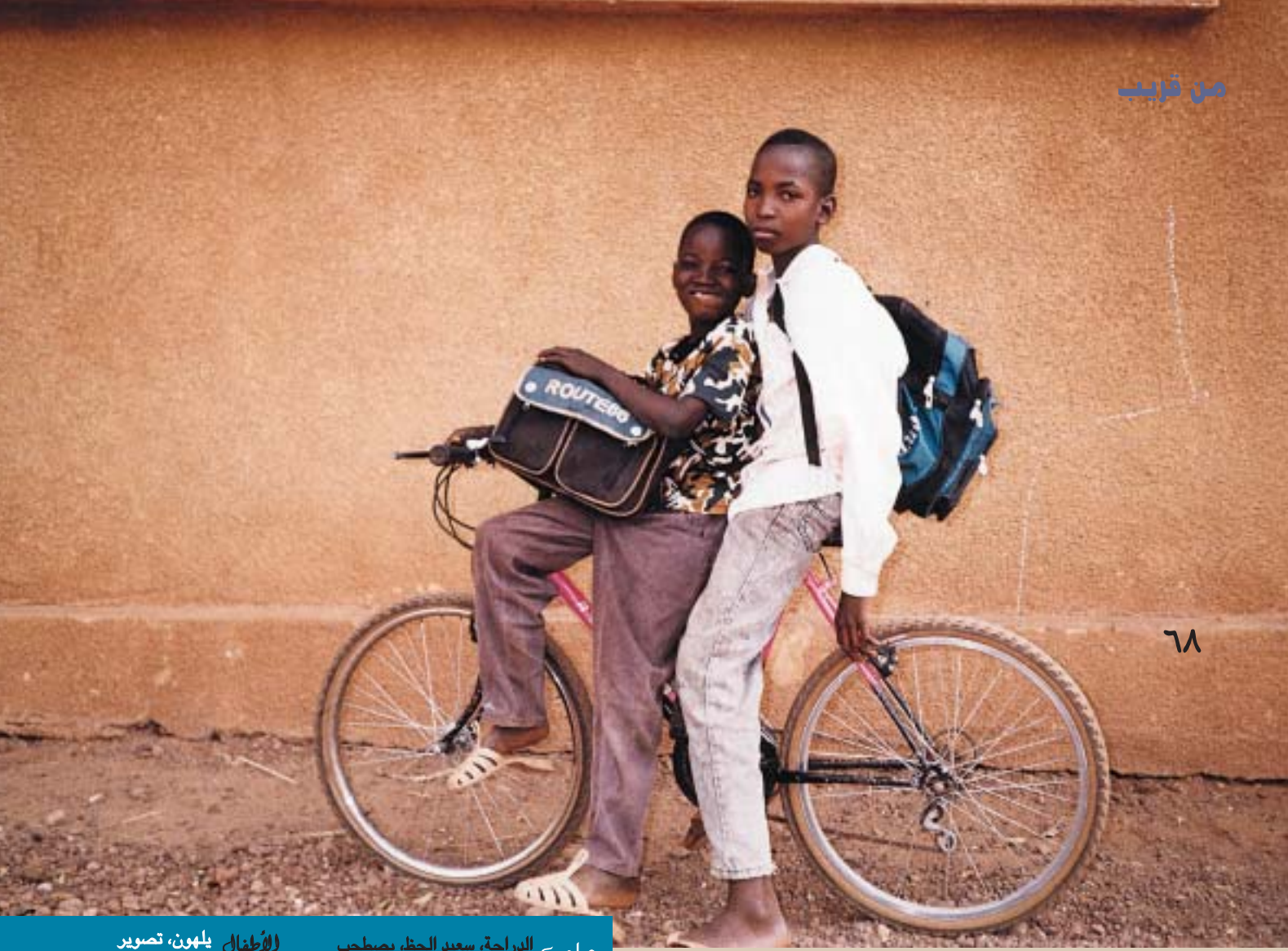

صاحب الدراجة، سعيد الحظ، يصطحب جاره إلى المدرسة على دراجته. تصوير ساواوجو جومويندى، تحت الاسم المستعار فرانسوا زافييه من مدرسة كايا فى بوركينا فاسو. الجائزة الأولى ex-aequo «تعلم العيش معا»

الأطفال يلهون، تصوير مارتين بوبيتش، مدرسة أوس سيفيلا كوسماكا بيران، سلوفينيا. الجائزة الأولى ex-aequo «تعلم العيش معا».

شبكة أسب خمسون عاما من الشباب

احتفالا بمرور خمسين عاما على إنشائها، أعلنت شبكة مشروع اليونسكو للمدارس المتحدة (أسب) عن مسابقة فى التصوير بين المدرسين. وقامت المسابقة على أربعة موضوعات: تعلم كيف نعرف، تعلّم كيف نكون، تعلّم كيف نعمل، تعلّم العيش معا.

وفيما يلى مختارات من مشاركات ٤٨ مدرسة فى المناطق الخمس.

زراعات الفول السودانى، تصوير أندريا نتسيميانجى خوزوا هاريساونا، كلية كيانجارا- أنكازوب، مدغشقر. جائزة خاصة «تعلم كيف نعمل»

شبكة فريدة

بدأت الشبكة العمل سنة ١٩٥٣، عندما كانت اليونسكو لاتزال فى طفولتها، وكان الاتصال بين مختلف المجتمعات أصعب بكثير مما هو عليه اليوم. وفى اجتماع عقد فى باريس فى نوفمبر/تشرين الثانى من ذلك العام، التقى ٢١ خبيرا يمثلون ٣٣ مدرسة ثانوية فى ١٥ دولة، وحددوا لأنفسهم هدفا تمثل فى «تعليم العيش فى مجتمع عالمى: التنسيق بين الأنشطة التجريبية فى مدارس الدول الأعضاء».

وربما كانت اللغة جافة وإدارية، ولكن الفكرة انطلقت محلقة. تضم اليوم «شبكة أسب» أكثر من ٧٥٠٠ مؤسسة - من دور الحضانة، وحتى معاهد تدريب المعلمين - فى نحو ١٧٠ دولة.

وعبر تلك السنين، نفذت الشبكة العديد من البرامج الطليعية داخل الدول، أو فيما بين الدول فى المنطقة الواحدة، أو على المستوى الدولى.

وقد بدأ مشروع بحر البلطيق، على سبيل المثال، سنة ١٩٨٩، وضم ٢٠٠ مدرسة فى بلدان منطقة البلطيق، وربط بينها، بهدف رفع وعى الشباب بالمشكلات البيئية الخطيرة فى بحر البلطيق، والبحث عن حلول ممكنة لها. وقد بلغ نجاح هذا البرنامج حدا جعله نموذجا احتذاه فى مشروع مشابه على نهر الدانوب. كذلك استلهمه مشروع نهر زامبيزى، والذى تدرس من خلاله المدارس المشتركة فى ملاوى وموزمبيق وزامبا وزيمبابوى موضوعات مثل: إدارة مياه حوض نهر زامبيزى، وحقوق الإنسان والديمقراطية.

وهناك نشاط بارز آخر، تمثل فى المشروع التعليمى حول تجارة العبيد عبر الأطلنطى. فقد شاركت ٢٠٠ مدرسة من الأعضاء فى هذه الشبكة من ٢١ دولة من إفريقيا والأمريكتين والكاريبى وأوروبا فى هذا المشروع لإحياء تدريس تجارة العبيد. وأتيح للتلاميذ والمدرسين أن يحضروا حلقات بحث، وورش عمل، ولقاءات شبابية، تدور كلها حول تجارة مثلث الأطلنطى، ليتعرفوا على أحد أكثر فصول التاريخ البشرى قتامة، وعلى تاريخهم وخلفيتهم الثقافية، والتغيرات الهائلة التى جلبتها على العالم تجارة العبيد. وقد صدر جزأين من الثلاثية وهما: «أصوات العبيد» (تجميع نصوص للعبيد)، و«رحلات العبيد» عن (تاريخ تجارة العبيد). وجارى العمل فى الجزء الثالث «طموحات العبيد»: (عن آمال وتوقعات فترة العتق حتى القرن الحادى والعشرين). وقد أنشأ المشروع مؤخرا موقعا شاملا على شبكة الإنترنت حول المشروع وإنتاجه.

على أن شبكة أسب تشارك أيضا فى تعليم السلام، والوقاية من المخدرات والإيدز، وحماية وحفظ الثقافة العالمية، والتراث الطبيعى، وتطوير مناهج تدريس جديدة لتحفيز التعلم،و تعليم أطفال العالم أن يقفوا على أقدامهم، ويعتد بهم.

رسم الطبيعة (أعلى) تصوير ميخائيل توميلوف، مدرسة الفن التابعة لأكاديمية الفن فى قيرغيزستان، الجائزة الأولى «تعلّم كيف نكون»

صورة لليجيا برول (يمينا)، كوليجيو «ماجنو»، البرازيل، جائزة الشرف «تعلم كيف نعمل»

صورة للين سبونر (أعلى) حرم جلينيجليز «كلية أوينيميرينج» استراليا، جائزة شرفية «تعلم كيف نكون»

صورة لأحمد عتمانى (يمينا) كلية بن زكور، تيمارا، المغرب، جائزة خاصة «تعلم كيف نعرف».

صورة لإيتيرى نيبيريدز (أسفل) المدرسة الثانوية رقم ٤٩، جورجيا، جائزة خاصة «تعلم كيف نعرف»

صورة لكريم هوزيكر (أعلى) مدرسة ليفى هاكنسمبر، ناميبيا. جائزة خاصة «تعلم كيف نعرف».

المعرفة التقليدية، تصوير ماورا كارفالو، مدرسة إسباكو ألبرتو لتعليم الأطفال، البرازيل، جائزة أولى «تعلم كيف نعرف»

صورة لألكساندرا جالينترو، مدرسة ديالوج، كازاخستان. جائزة شرف «تعلم كيف نعيش معا».

صورة لبسام جمال الدين، مدرسة زابريك الثانوية، لبنان.
جائزة شرفية «تعلم كيف نعيش معا».

صورة لألييرا إيرادا، مجمع التعليم الحديث، أذربيجان.
جائزة شرفية «تعلم كيف نعيش معا».

صورة لأوجينيا فارجاس جيمينيز (أعلى)، كلية سيمون بوليفار، المكسيك. جائزة خاصة «تعلم كيف نعيش معا».

صورة للورى دوير (أعلى)، مدرسة نيو وندسور، نيوزيلندا. جائزة خاصة «تعلم كيف نعيش معا».

تحت رعاية (كاميرات) كوداك و دى إتش إل

للمزيد من المعلومات حول «شبكة أسب»:
http://www.unesco.org/education/asp

مشروع كسر حاجز الصمت:
http://www.antislavery.org/breakingthesilence

مشروع بحر البلطيق:
http://www.b-s-p.org/

حول مجموعة أدوات تدريس «تراث العالم فى أيدى الصغار»:
http://whc.unesco.org/education

حول مجموعة المصادر الخاصة بتدريس السلام لمدرسى المدارس الابتدائية:
http://www.unesco.org/education/asp/peace_pack.shtml

لمزيد من المعلومات يمكنكم الاتصال بمنتدى مدرسى «شبكة أسب» والمنسقين الوطنيين والعاملين باليونسكو على شبكة الإنترنت:
aspnetforum@yahoogroups.com

مور: تمثال فى الهواء الطلق

يقول مور: «إن الشكل البشرى هو ماأثارنى كثيرا، ولكنى تعلمت مبادئ الشكل والإيقاع من ملاحظة الأشياء الطبيعية، مثل الأحجار، والصخور، والعظام، والأشجار، والنباتات».

«الشكل المنحنى»، تمثال لامرأة تشكلت من تجويفات والتواءات، كما لو كانت جرفا صخريا نخر فيه الهواء، نحته «هنرى مور» ليكون ملغزا، واستخدم فيه ٣٩ طنا من رخام ترافرتينو، وبلغ طوله خمسة أمتار. وقد جلبت أحجاره من محاجر كرارا فى إيطاليا، والتى كان يستخدمها مايكل أنجلو. وبعد تفكير مَلِىّ قرر النحات ألا يجعل التمثال، الذى يقف أمام مقر اليونسكو، معبرا عن موضوع بعينه، أو ناطقا بفكرة محددة. ويقول الفنان فى ذلك: «سيتساءل الناس عن معنى هذا التمثال». وعليهم أن يسقطوا عليه تفسيراتهم، فيستخدموه كصدى لأفكارهم، ولكنه مع كل ذلك، يشع حمائية صافية.

ولد مور فى يوركشاير بانجلترا سنة ١٨٩٨. وقد تأثر كثيرا بالفن البدائى، وذاعت شهرته الدولية سريعا. وترجع أول أعماله من الأشكال المنحنية القوية التعبير التى تستلهم الطبيعة إلى عشرينيات القرن الماضى. وهو يقول: «منذ البداية، كانت الأشكال المنحنية هى موضوعى الأساسى. وقد نحت أولها سنة ١٩٢٤، وأعتقد أن أكثر من نصف أعمالى بعد ذلك كانت أشكالا منحنية. فلها عندى ولع خاص».

إن أشكال مور المنحنية، بالرغم من التواءاتها، وفجواتها، وتجريدها، وعظمتها، إلا أنها أيضا شديدة الإنسانية، وكثيفة، وحميمية فى آن واحد.

وقد كان مور أيضا مصمما عظيما، وأنتج سلسلة مثيرة من اللوحات الرائعة عن الناس فى مترو أنفاق لندن وهم يحتمون به أثناء قصف الغارات.

يقول مور: «لم أر فى حياتى مثل هذا العدد من الوجوه الجالسة، وكانت الأنفاق تذكرنى بالفجوات فى تماثيلى».

تأثر مور بالنماذج البدائية أكثر من تأثره بالأشكال الكلاسيكية التى تعود إلى عصر النهضة.

رأس التمثال يقظة وواعية، تحمل نفس نظرة التأمل البعيدة التى نجدها فى كثير من تماثيل مور للنساء المنحنيات.

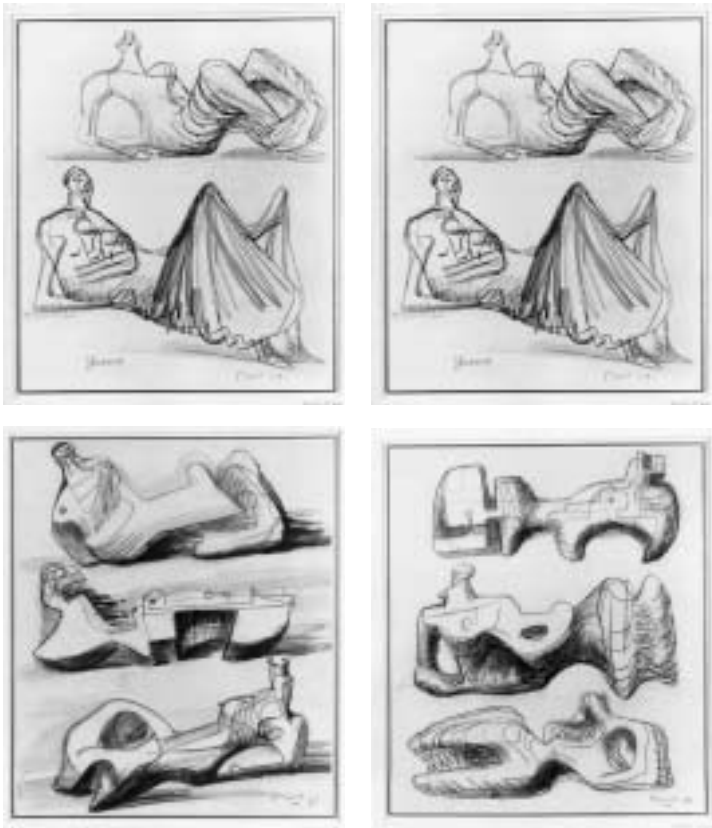

توجب أن يصنع تمثال «الشكل المنحنى» فى أربع قطع، لدواعى النقل ثم أعيد تجميعها أمام مبنى اليونسكو. وهو الأول من بين العديد من الأعمال الدولية، والأضخم من بين كل أعمال مور حتى الآن.
لقد تزايدت أهمية الحجم عنده. أشكال منحنية، ١٩٥٧، رسومات تحضيرية، بالرصاص. لندن، المتحف البريطانى.

ذاكـــرة الشعـــــوب

لاتوجد صيغة جاهزة للحفاظ على ثقافات الأقليات، وتثير حالة «لاوس»، على وجه الخصوص، أسئلة مهمة فى هذا الصدد، حيث إنها موطن ٤٧ جماعة عرقية ـ لغوية، ونصف سكانها تقريبا ينتمون للأقليات.

ويمكن أن يوصف الكثير من تراث ثقافات الأقليات فى لاوس بأنه تراث غير ملموس، فهو على شكل لغات نادرة، أو أدب شفهى، أو موسيقى غير مكتوبة، أو أساطير، أو طقوس، أو أنماط سلوك اجتماعى.. إلخ. فى حين يتسم بعضها الآخر بسرعة زواله، أو قابليته العالية للبلى، مثل الملابس، والمنسوجات، والآلات الموسيقية، والبيئات التقليدية المقامة من البامبو (الخيزران) فى جانب كبير منها.. إلخ. وهذا العمل الذى بين أيدينا، يضع أمام أعين الجمهور العام، مساهمات ٣٦ خبيرا شاركوا فى اجتماع دولى للخبراء حول «الحفاظ على التراث الثقافى غير الملموس للأقليات العرقية فى جمهورية لاو Lao الديمقراطية الشعبية وترويجه» والذى عقد فى فيتنام فى أكتوبر/تشرين أول عام ١٩٩٦.

وفى حين تثير بعض الفصول اهتمام اللغويين على وجه الخصوص، نجد فصولا أخرى حرية باهتمام القارئ العادى، ليكتشف على صفحاتها الدور المهم للنسيج، على سبيل المثال، فقد درس الكتاب كل جانب من جوانب تلك الحرفة بالتفصيل: الألياف، والأصباغ، والأدوات والتقنيات والعناصر الزخرفية، وأنواع الملابس، والمعتقدات المرتبطة بهذا النشاط. كذلك ركزوا على دور المرأة، حيث إنها الوحيدة التى تمارس هذا النشاط. ووصفوا وضعها الخاص كحامية لتلك المهارات الخاصة.

وهذا الثراء نفسه فى المعلومات، نجده أيضا فى الفصول التى تتناول الموسيقى والعمارة. فالبيوت عندما تشيد على دعامات، أو على الأرض مباشرة، فهى تعبر بهذا أو ذاك عن انتماء عرقى، وتؤثر فى أسلوب الحياة، وتعكس أساطير رئيسية، أو تمثيلا رمزيا للعالم، وتدل كذلك على رفعة صاحبها فى التنظيم الاجتماعى لمجتمعه.

وهكذا نجد أن التعبير المستخدم عند الزواج مثلا فى الجنوب هو «التسلق إلى المنزل». ويتجلى لنا الثراء والإبداع لكل أقلية عندما نقوم بدراسات مستعرضة.

❁ وتكتمل الصورة بمساهمات أخرى أكثر عمومية فى طابعها، لتجمع لنا الخصائص الأساسية لجماعة ما، فى محاولة لوصف خصوصيات شخصيتها. فنكتشف، على سبيل المثال نظرية الخلق عند «الكاتو»، ومعتقداتهم، ومحرماتهم، وقيمهم، والقائمة على فكرة البحث عن التناغم. وفى فصل آخر نجد وصفا لحياة «الكو»، وعاداتهم، وتنظيمهم الاجتماعى، وعقيدتهم الروحية العميقة التى تلهم فكرهم، وتجعلهم ينسبون روحا لكل حقل أرز.

❁ ويشتمل العمل أيضا على الجوانب النظرية المتعلقة بأوضاع ثقافات الأقليات، ومستقبل التراث غير الملموس، فيثير تساؤلات من قبيل: كيف نستطيع أن نوفق بين الحفاظ على التقاليد، والتنوع الثقافى من جانب، والتنمية، والانفتاح على العالم الخارجى من جانب آخر. ويقترح العمل حلولا لتلك المشكلة، ويقدم بعض الأفكار للحفاظ على هذا الثراء الثقافى المهدد، وغير المعروف على نطاق واسع. وتنظر بعض أجزاء الكتاب للمشكلة فى ضوء تجارب المناطق المجاورة مثل: فيتنام، والصين، وكمبوديا، وتايلاند.

❁ وأخيرا، يستعرض الكتاب الإجراءات التى اتخذتها حكومة جمهورية لاوس الشعبية الديمقراطية، وجبهة لاو للبناء الوطنى، والمبادرات التى تمت بالتعاون مع مؤسسات أجنبية مثل: جامعة كاليفورنيا فى لوس أنجلوس، فيما يتعلق بالموسيقى والمركز الوطنى الفرنسى للبحث العلمى فيما يتعلق بإنشاء قاعدة بيانات عرقية، ومؤسسة تويوتا.. إلخ. كذلك يضم الكتاب مجموعة منتقاة من الصور الرائعة.

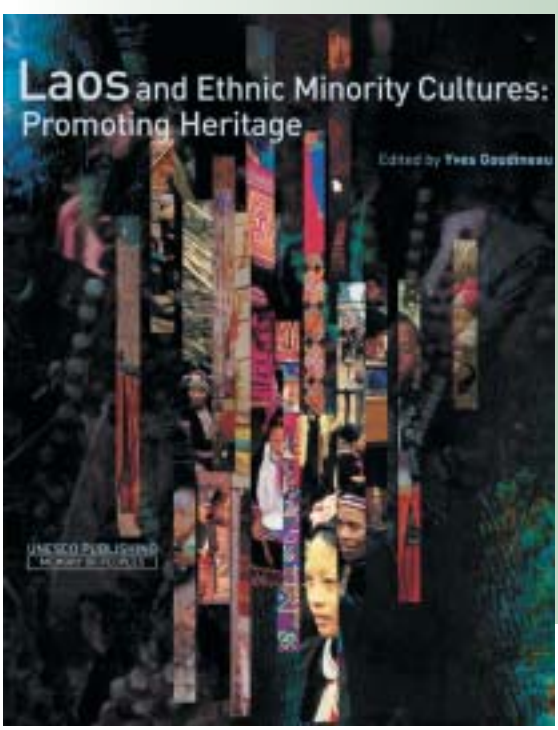

Laos and Ethnic Minority Cultures: Promoting Heritage
Edited by Yves Goudineau
2003, 311 p.,
21 x 27 cm
48, 50 Euros

تـــراث العالـــم
المواقـــــع الأثريـــة والمراكـــز الحضريـــة

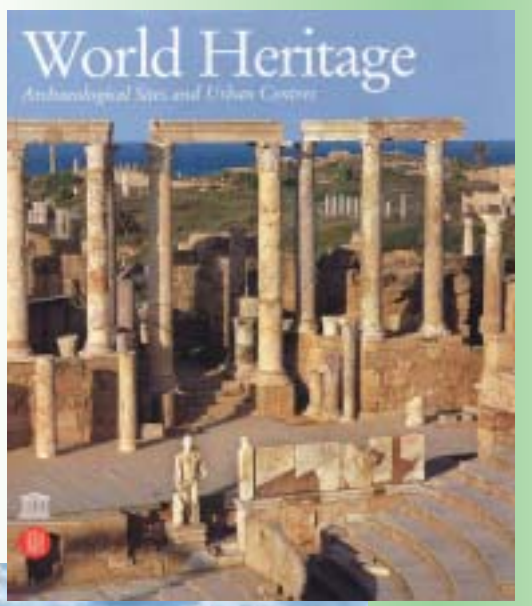

منذ تطبيق «الاتفاقية الخاصة بحماية تراث العالم الثقافي والطبيعي» سنة ١٩٧٢، تم إعلان أكثر من ٧٠٠ موقع كمواقع للتراث الإنسانى غير القابلة للتحول. وتتراوح تلك المواقع من أحرام طبيعية، ومواقع صنعها الإنسان، إلى مراكز حضرية كاملة، ومناطق أثرية، وآثار مفردة.

هذا الكتاب هو الأول فى سلسلة من ثلاثة كتب، وقد خصص للمواقع الأثرية والمراكز الحضرية، وركز على ٤٦ حالة ترمز لتنوع المواقع جغرافيا وثقافيا وتاريخيا، وقدم لكل منها نصوصا موثقة توثيقا جيدا، أثرتها مقدمات مختصرة وعميقة فى الوقت نفسه، ومختارات دالة من الصور.

وبفضل هذه الأداة التى توفر التعليم والفهم، وباستخدام مجموعة ثرية من الصور، تستطيع أن تجد كل أنواع الأماكن البعيدة زمانا ومكانا فى مجلد واحد، مكرس لتراث كل أمة، وكل فرد.

383 pp., 29 x25 cm, colour photographs, hardcover
50.00¢
UNESCO publishing/Skira Editore s.p.A., 2002

التخطيط للتعليم فى أثناء الظروف الطارئة وبعدها

Planning Education In and After Emergencies

للتعليم أهمية قصوى فى أثناء الحالات الطارئة، أو الأزمات، أو الكوارث.

كيف ولماذا ينبغى تكييف التعليم مع هذا النوع من الأوضاع؟. هل يتوجب على الدول أن تعتبر الحصول على التعليم قضية ذات أولوية قصوى، مثلها مثل الصحة، ورفاهية السكان، أو إعادة بناء اقتصاد منهار؟.

وتسلط لنا الكاتبة الضوء على احتياجات المجتمعات التى ضربتها الأزمة، باستخدام أمثلة من أحداث وقعت مؤخرا. وهى تؤكد على الدور المهم الذى يستطيع التعليم أن يلعبه فى غرس القيم الاجتماعية والأخلاقية فى أذهان الصغار، وفى تعليم السلوك المناسب. وعلى الرغم من أن التعليم لايستطيع أن يحل المشكلات الحالية فى بلد ما، إلا أنه يستطيع أن يوفر الأساس الذى يمكّن من تغيير سلوك الناس، وبالتالى تحاشى النزاعات فى المستقبل. كذلك فهو يعد الصغار لاحتمال العودة للحياة الطبيعية، ويوفر لهم التأهيل المناسب. وينبغى أن ييسر لهم نظام التعليم الاندماج فى دنيا العمل، ويمكنهم من الاستمتاع بمستقبل أفضل.

By Margaret Sinclair
Fundamentals of Educational Planning, 73
143 pp., 21x13.5 cm
21.20 ¢
UNESCO Publishing - IIEP, 2003

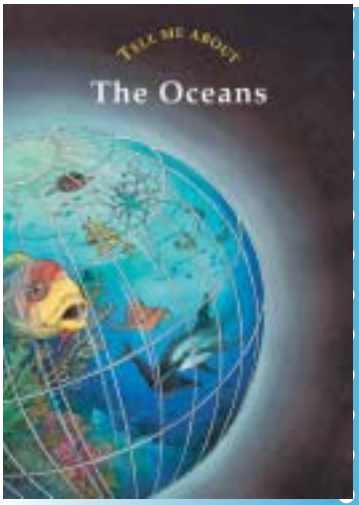

حدثنى عن المحيطات

فى المحيطات غموض وخطر، وفيها أيضا الغذاء. ويميل البشر إلى تهديد هذا العالم الشاسع. ولكننا فى احتياج للعناية بالمحيطات لأنها أساسية لبقائنا على قيد الحياة كما أنها تحتوى على موارد مهمة وكثيفة.

ويغطى الماء ثلاثة أرباع سطح كوكبنا. فيجب ألا نجعل من هذا المورد الواهب للحياة سلة مهملات. فهو ثرى بالمعلومات وتربوى للنشء (٩ - ١٣ سنة).

By Patricia Chaniropoulos
48 pp., 21x15 cm
photos, drawings
4.57 ¢
UNESCO Publishing

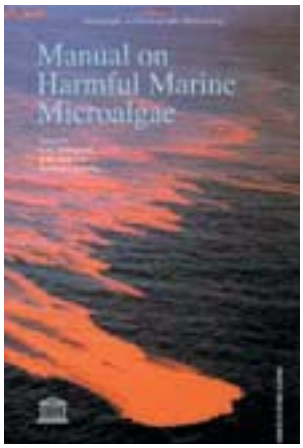

دليل الطحالب البحرية الدقيقة الضارة

Marine Microalgae
Manual of Harmful

إن انتشار الطحالب البحرية الدقيقة فى المياه قليلة الملوحة أو العذبة يمكن أن يتسبب فى قتل كميات كبيرة من الأسماك، وتلويث الغذاء البحرى بالسميات وتغيير الأنظمة البيئية على نحو يراه البشر ضارا. وهناك ٣٠٠ نوع من تلك الطحالب الدقيقة نعلم أنها تتكاثر بسرعة شديدة، وبأعداد كبيرة، وربع تلك الأنواع يفرز موادا سامة. ويقدم هذا الكتاب خطوطا إرشادية لأساليب حديثة فى أخذ العينات والتعرف على الطحالب وزراعتها، وتحليل السميات، ومراقبة وإدارة الطحالب البحرية الدقيقة الضارة. وقد أعد هذا الدليل ٤٦ من رواد العلماء تحت مظلة اللجنة بين - الحكومية للمحيطات التابعة لليونسكو ، وهو مرجع شامل لمناهج دراسة الطحالب البحرية الدقيقة الضارة، بل والمرجع الأساسى فى مجاله. ولاتتوقف فائدته عند كونه أداة نافعة لمعامل الأبحاث أو أجهزة مراقبة أمن البيئة والغذاء، ولكنه نافع أيضا لأغراض التدريس والتدريب.

Edited by Allan D. Cembella, Don M. Anderson and Gustaf M. Hallegraeff
832 pp., 24x 15.5 cm, colour photographs, hard cover
49, 50 ¢
UNESCO Publishing

الجامعات والعولمة، صلات خاصة وثقة العامة

Universities
and Globalization, Private
Linkages, Public Trust

تستشعر آثار العولمة بشكل متزايد فى التعليم العالى، وفى كل مجالات النشاط البشرى، كما تفرض عددا من التحديات على الجامعات فى البلدان الغنية والفقيرة على حد سواء.

ولم تعد الدولة هى المرجعية الوحيدة لتطوير الجامعات. فمع الانفتاح على المجال العالمى الجديد، يشهد التعليم العالى بزوغ أطراف جديدة: الأقاليم، المقاطعات، والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية، والمؤسسات، والجامعات التابعة لمؤسسات، والجماعات الافتراضية.

ومع تقاطع مجالات عمل الجامعات، وتأثرها بعوامل جذب تلك الأنظمة الجديدة، تجد الجامعات نفسها مدفوعة لتغيير مساراتها. والرؤية الشاملة التى يقدمها الكتاب، هى نتيجة مساهمات سبعة عشر متخصصا فى التعليم العالى. وهى رؤية تثير التساؤلات حول موقع الجامعات على المشهد الدولى، وأهميتها الاجتماعية فى عالم قائم على المعرفة تدفعه قوة التجديد.

Edited by Gilles Breton and Michel Lambert
248pp., 24x15.5cm
23.80¢
UNESCO Publishing/Université Laval/ECONOMICA, 2003